عَـوْدٌ على بـــدء
مواقِـفـهم مؤمنـــات العَبيـــر

عَوْدٌ على بدء مواقِفُهم مؤمناتُ العَبير

* ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾:

❑ للَّه در أبي حنيفة حين يقول:

«الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم»[1].

وما أجمل قول الجنيد وهو الذي يغوص على الدرر: «الحكايات جند من جنود اللَّه»[2]، وقول مالك بن دينار: «الحكايات من تحف الجنة».

❑ قال بشر بن الحارث الحافي: «بحسبك أن قومًا موتى تحيا القلوب بذكرهم، وأن قومًا أحياء تموت القلوب برؤيتهم».

❑ وقال سفيان بن عيينة: «عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»[3].

والحكايات عن الصالحين خير مهماز لرفع الهمم، وشدّ العزائم، وسموّ المقاصد، وإنارة القلوب، واحتلال ذرى المجد الرفيع، تعالج الفتور في الهمم، والقناعة بالدُّون، والخمود في الطبائع، والاشتغال بسفاسف الأمور.

هذا القصص الحق الذي نقصه «لا يبلغ الخيال ـ عند بعض الناس ـ إلى ما بلغه حقيقة، من احتلال ذروة الفضل والمجد وارتقاء سنام العلم والمكانة الرفيعة، وحيازة الذكر العطر الدائم، والأجر الباقي المستمر، وغير ذلك من الفضائل والمآثر»[4].

---

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبدالبر (١/ ١١٧).

(٢) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٥٢).

(٣) المصدر السابق (١/ ٥٢).

(٤) «صفحات مضيئة من حياة السابقين» لإبراهيم العلي (١/ ٢٠) ـ دار القلم.

ومن علامة كمال الإنسان علو الهمة، والراضي بالدون دنيء! قال الشاعر:

إذا ما علا المرء رام العُـــلا ويقنع بالدون مَنْ كان دونا!

وهذه الصفحات التي نسطرها في هذا الفصل.. إنما هي تربية بالقدوة، فإن الحي لا تُؤمن عليه الفتنة، وإنما العيش مع أهل العلم السابقين من سلف الأمة الذين بلغو أقصى كمال يرتقيه البشر في كل مجال..

بنتم وبنّا فما ابتلت جوانحنـــا شـــوقًا إليكم ولا جفّت مآقينـــا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنـــا يقضي علينـا الأسـي لولا تأسينا
ليُسق عهدكم عهـــد السرور فما كنتـــم لأرواحنـــا إلا رياحينا

❑ أزاهيرهم مؤمنات العبير وأطيارهم قانتات الزجل..

مواقف العلماء والربانيين أزاهير فاح أريجها فعبقت به الأرواح وأحيا اللَّه بها القئام من الناس عبر تاريخ الأمة ـ فعودٌ على بدء مع هذه الصفحات، وهي أزاهير متفرقات من بساتين الربانيين، أهل اللَّه وعلماء الآخرة وملوك الدنيا، والجامع لهذه الأزاهير المتفرقات إعراض أهل العلم عن القضاء والولايات، فإن تولوا كرها تنظر إلى قيامهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر كأفضل ما يفعل الربانيين السادات، وإعراضهم عن الدنيا، وعدم قبولهم الأعطيات، وثباتهم على الحق والطاعات وإن خالفوا الناس والعادات:

*** الآن عزّ الإسلام:**

جاء في كتاب «المستطرف في كل فن مستظرف» لشهاب الدين الأبشيهي (٢/ ٣٤) و«حاشية ابن عابدين» (٤/ ٢١٣) ما نصه:

«أن غلمانًا من أهل البحرين خرجوا يلعبون بالصوالجة وأسقف البحرين قاعد، فوقعت الكرة على صدره فأخذها.

فجعلوا يطلبونها منه، فأبى، فقال غلامهم: سألتك بحق محمد ﷺ

إلا رددتها علينا.

فأبى لعنه اللَّه وسب الرسول ﷺ فأقبلوا عليه بصواليجهم، فما زالوا يخبطونه حتى مات لعنه اللَّه.

فرفع ذلك إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فواللَّه ما فرح بفتح ولا غنيمة، كفرحته بقتل الغلمان لذلك الأسقف.

وقال: الآن عزَّ الإسلام، إن أطفالاً صغارًا شُتم نبيهم، فغضبوا له وانتصروا، فأهدر دم الأسقف، واللَّه سبحانه وتعالى أعلم».

* **ما قصَّ صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة:**

جاء في كتاب «ثمرات الأوراق» لابن حجة الحموي (١/ ٢٢) ما نصه:

«أن الحاكم الفاطمي لما بنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح، قيل أنه فسد حاله في آخر أمره، وادعى الألوهية، وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم، وجمع الناس إلى الإيمان به، وبذل لهم النفائس، وكان ذلك في فصل الصيف، والذباب يتراكم على الحاكم، والخدام يدفعه ولا يندفع.

فقرأ في ذلك الوقت بعض القراء، وكان حسن الصوت:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٧٣ - ٧٤].

فاضطربت الأمة لعظم وقوع هذه الآية الشريفة في حكاية الحال، حتى كأن اللَّه أنزلها تكذيبًا للحاكم فيما ادعاه.

وسقط الحاكم من فوق سريره خوفًا من أن يقتل، وولى هاربًا، وأخذ

في استجلاب ذلك الرجل، إلى أن اطمأن إليه، فجهزه رسولاً إلى بعض الجزائر، وأمر بإغراقه.

ورؤي بعد ذلك في المنام، فقيل له: ما وجدت فقال: ما قصر معي صاحب السفينة أرسى بي على باب الجنة».

*** الآن عرفتني حق المعرفة:**

«عن الأصمعي عن أبيه قال:

«مرّ المهلب ـ يعني ابن أبي صفرة ـ على مالك بن دينار متبختراً.

فقال: أما علمت أنها مشية يكرهها اللَّه إلا بين الصفين؟

فقال المهلب: أما تعرفني؟

قال: بلى، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت فيما بين ذلك تحمل العذرة.

فانكسر وقال: الآن عرفتني حق المعرفة»[1].

*** للَّه درّ طاووس من إمام:**

عن سفيان بن عيينة قال: جاء ابن لسليمان بن عبدالملك، فجلس إلى جنب طاووس، فلم يلتفت إليه، فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين فلم تلتفت إليه؟!

فقال: أردت أن يعلم أن للَّه عباداً يزهدون فيما فيه يديه[2].

*** عزُّ العلماء: عطاء بن أبي رباح القائل: «ما لي إلى مخلوق حاجة»:**

قال الأصمعي: «دخل عطاء بن أبي رباح على عبدالملك بن مروان،

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٤٢).

وهو جالس على السرير، وحوله الأشراف، وذلك بمكة في وقت حجه في خلافته، فلما بصر به عبدالملك، قام إليه فسلّم عليه، وأجلسه معه على السرير، وقعد بين يديه وقال: يا أبا محمد، حاجتك؟ قال: يا أمير المؤمنين! اتق اللَّه في حرم اللَّه، وحرم رسوله فتعاهده بالعمارة.

واتق اللَّه في أولاد المهاجرين والأنصار، فإنك بهم جلست هذا المجلس.

واتق اللَّه في أهل الثغور، فإنهم حصن الإسلام، وتفقد أمور المسلمين فإنك وحدك المسئول عنهم.

واتق اللَّه فيمن على بابك، فلا تغفل عنهم، ولا تغلق دونهم بابك.

فقال له: أفعل.

ثم نهض فقام.

فقبض عليه عبدالملك وقال: يا أبا محمد! إنما سألتنا حوائج غيرك، وقد قضيناها، فما حاجتك؟

قال: ما لي إلى مخلوق حاجة.

ثم خرج، فقال عبدالملك: هذا وأبيك الشرف، هذا وأبيك السؤود»[1].

* **صفوان بن سليم القائل: «لستُ الذي أُرسلتَ إليه»:**

«عن كثير بن يحيى، عن أبيه قال:

قدم سليمان بن عبدالملك المدينة، وعمر بن عبدالعزيز عامل عليها، قال: فصلى بالناس الظهر، ثم فتح باب المقصورة واستند إلى المحراب، واستقبل الناس بوجهه، فنظر إلى صفوان بن سليم، فقال لعمر: من هذا؟ ما رأيت أحسن سمتًا منه.

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٨٤ ـ ٨٥).

قال: صفوان.

قال: يا غلام كيس فيه خمس مائة دينار فأتاه به.

فقال لخادمه: اذهب إلى ذلك القائم.

فأتى حتى جلس إلى صفوان وهو يصلي، ثم سلم، فأقبل عليه، فقال: ما حاجتك؟

قال: يقول أمير المؤمنين: استعن بهذه على زمانك وعيالك.

فقال صفوان: لستُ الذي أُرسلتَ إليه.

قال: ألست صفوان بن سليم؟ قال: بلى.

قال: فإليك أُرسلتُ، قال: اذهب فاستثبت، فولى الغلام، وأخذ صفوان نعليه وخرج، فلم يُرَ بها حتى خرج سليمان من المدينة»[1].

* **«لأنْ يخنقني الشيطان أحبٌّ إليّ من أليَ القضاء»:**

وهذا رجل من رجال الآخرة المغيرة بن عبدالرحمن المخزومي صاحب مالك بن أنس:

«قال الزبير ـ يعني ابن بكار ـ: وعرض عليه أمير المؤمنين الرشيد قضاء المدينة وجائزة أربعة آلاف دينار فامتنع، فأبى إلاَّ أن يلزمه ذلك.

فقال: واللَّه يا أمير المؤمنين لأن يخنقني الشيطان أحبُّ إليَّ من أليَ القضاء.

فقال الرشيد: ما بعد هذا شيء، وأعفاه، وأجازه بألفي دينار»[2].

* **أما واللَّه ما مجالستهم مجالسة الأبرار:**

«عن فضيل بن جعفر قال:

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (٥/ ٣٦٨).

(٢) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (١/ ٢٨٣).

خرج الحسن من عند ابن هبيرة، فإذا هو بالقراء على الباب.

فقال: ما يجلسكم ها هنا؟ تريدون الدخول على هؤلاء الخبثاء، أما واللَّه ما مجالستهم مجالسة الأبرار، تفرقوا فرق اللَّه بين أرواحهم وأجسادكم، قد فرطحتم نعالكم، وشمرتم ثيابكم، وجززتم شعوركم، فضحتم القراء فضحكم اللَّه، واللَّه لو زهدتم فيما عندهم، لرغبوا فيما عندكم، ولكنكم رغبتم فيما عندهم، فزهدوا فيكم، أبعد اللَّه من أبعد»[1].

*** أبو الحسن علي بن زياد التونسي العبسي ووالي إفريقية:**

«ذكر ابن اللَّباد عن سحنون قال: مات بعض قضاة إفريقية، فقدم رسول الخليفة إلى إفريقية لجمع العلماء واستشارتهم في قاض يوليه إفريقية.

فتوجه إلى تونس وبعث إلى واليها في علي بن زياد فتثاقل، فأخبر بذلك الوالي رسول الخليفة.

فقال له الرسول: أمير بلد ورسول الخليفة يوجه إلى رجل من الرعية فيتثاقل عن المجيء.

فمضى إليه الوالي معه، فلما دخلا عليه وجداه قد حوَّل وجهه إلى الحائط، فقال له الوالي: يا أبا الحسن، هذا رسول الخليفة يستشيرك في قاض يلي إفريقية.

فحوَّل علي وجهه إلى القبلة وقال: ورب هذه القبلة ما أعرف بها أحدًا يستوجب القضاء قوموا عني»[2].

*** الزاهد بهلول بن راشد القيرواني وهرثمة بن أعين أمير إفريقية:**

«قال أبو زرجونه: أقبل هرثمة بن أعين أمير إفريقية في موكبه، حتى

---

(١) «حلية الأولياء» (٢/ ١٥٠ ـ ١٥١)، و«سير أعلام النبلاء» (٤/ ٥٨٦).

(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ٣٢٨).

انتهى إلى مسجد البهلول بن راشد، وبهلول مسند ظهره إلى عمود بإزاء باب المسجد، فانحنى هرثمة في السرج، وقال لبعض من معه: ادفع إليه هذا المزود بالدراهم وقل له: قال لك الأمير فرقها.

فجاء إليه الرسول فقال له البهلول: الأمير أقوى على تفريقها»[1].

قال أبو عثمان بن الحداد: بلغني أن بهلولاً كان ذات يوم جالسًا وعنده صاحبه رباح بن يزيد الزاهد، إذ أقبل أخ للبهلول في البادية يلهج بخبر المطر والزرع، والبهلول يتقلى ويتلون اغتمامًا لرباح، لعلمه بكراهيته ذكر الدنيا وأسبابها.

فلما أكثر أخوه من هذا نهض وجعل يقول لبهلول: سقطت من عيني، تُذكر الدنيا في مجلسك ولا تغير.

فقال له البهلول: إذا لم أسقط من عين اللَّه فلا أبالي من عين من سقطت.

فخرَّ رباح على رأسه يقبله»[2] : نعم يا حبيبي يا بهلول لا تبالي من عين من سقطت، إذا المرء سقط من عين اللَّه».

*** صاحب مالك بن أنس زياد بن عبدالرحمن اللَّخمي:**

«قال يحيى: كان زياد واحد زمانه، زاهدًا ورعًا، أتاه هشام ليلاً في خاصته فقرع عليه الباب فخرج فعرف به، ففتح له وسلم عليه، وسأله عن سبب مجيئه.

فقال: طلب التفرد بك، وهذا مال طيب ـ وأشار إلى مال يحمله الفتى ـ أردت التزلف به فأتيتك به لتضعه حيث تراه.

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ٣٣٥).

(٢) «ترتيب المدارك» (١/ ٣٣٣).

فقال له زياد: تجد من هو أقْوَم لك بذلك، وأعرَف بأهله.

وسمى له قومًا من صلحاء الناس، فأبى هشام إلا إياه، فلم يقدر عليه إلى أن حلف له أن لا يفعل.

فاستحياه هشام وخرج بماله وهو يقول: اللَّهم أعني على طاعتك بمثل هذا»[1].

*** زين القرّاء محمد بن واسع يمتنع عن تولّي القضاء:**

«عن أحمد بن محمد الدورقي، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا مخلد ابن الحسين، عن هشام، قال:

دعا مالك بن المنذر الوالي محمد بن واسع فقال: اجلس على القضاء، فأبى، فعاوده وقال لتجلسنَّ، أو لأجلدنك ثلاث مئة.

قال: إن تفعل، فإنك مسلط، وإن ذليل الدنيا خير من ذليل الآخرة»[2].

*** الإمام المبارك: عبداللَّه بن المبارك القائل: «يأبى هذا الرجل إلاّ أن نقشر له العصا»:**

عن حماد بن سلمة وحماد بن زيد: أن عبداللَّه بن المبارك كان يَتّجر في البز. وكان يقول: لولا خمسة ما اتجرت، فقيل له: يا أبا محمد من الخمسة؟ فقال: سفيان الثوري، وسفيان بن عُيينة، والفضيل بن عياض، ومحمد بن السماك، وابن علية.

وكان يخرج فيتجر إلى خراسان، فكلما ربح من شيء أخذ القوت للعيال، ونفقة الحج، والباقي يصل به إخوانه الخمسة.

---

(١) «ترتيب المدارك» (١/ ٣٥٢).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٦/ ١٢٢).

قالا: فقدم سنة فقيل له: قد ولي ابن علية القضاء، فلم يأته ولم يصله بالصرة التي كان يصله بها في كل سنة، فبلغ ابن علية أن ابن المبارك قد قدم، فركب إليه فتنكس على رأسه، فلم يرفع به عبداللَّه رأسًا، ولم يكلمه فانصرف..

فلما كان من الغد كتب إليه رقعة: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم. أسعدك اللَّه بطاعته، وتولاك بحفظه، وحاكك بحياكتك، قد كنت منتظرًا لبرك وصلتك أتبرك بها، وجئتك أمس فلم تكلمني، ورأيتك واجدًا عليَّ. فأي شيء رأيت مني حتى أعتذر إليك منه؟».

فلما وردت الرقعة على عبداللَّه بن المبارك دعا بالدواة والقرطاس وقال: يأبى هذا الرجل إلا أن نقشر له العصا»، ثم كتب إليه: «بسم اللَّه الرحمن الرحيم

يا جاعل الدين له بازيًا ... يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها ... بحيلةٍ تذهب بالدين
فصرت مجنونًا بها بعدما ... كنت دواءً للمجانين
أين رواياتك في سردها ... عن ابن عون وابن سيرين؟
أين رواياتك في سردها ... لترك أبواب السلاطين
إن قلت أكرهت فذا باطل ... زلَّ حمار العلم في الطين

فلما وقف ابن علية على هذه الأبيات قام من مجلس القضاء، فوطئ بساط هارون وقال: يا أمير المؤمنين! اللَّه اللَّه ارحم شيبتي فإني لا أصبر للخطأ ـ أو على القضاء ـ.

فقال له هارون: لعل هذا المجنون أغوى بقلبك.

فقال: اللَّه اللَّه، أنقذني أنقذك اللَّه.

فأعفاه من القضاء، فلما وصل عبداللَّه بن المبارك ذلك، وجه إليه

بالصرة»[1].

*** يا حسن الوجه، حساب الخلق كلهم عليك:**

جاء في «سير أعلام النبلاء» في ترجمة الفضيل بن عياض ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«قال عباس الدوري: حدثنا محمد بن عبداللَّه الأنباري قال:

سمعت فضيلاً يقول: لما قدم هارون الرشيد إلى مكة قعد في الحِجر هو وولده، وقومٌ من الهاشميين، وأحضروا المشايخ، فبعثوا إلي فأردت أن لا أذهب، فاستشرت جاري، فقال: اذهب لعله يريد أن تعظه، فدخلت المسجد، فلما صرت إلى الحجر، قلت لأدناهم: أيكم أمير المؤمنين؟ فأشار إليه.

فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة اللَّه وبركاته، فردَّ علي، وقال: اقعد، ثم قال: إنما دعوناك لتحدثنا بشيء. وتعظنا.

فأقبلت عليه وقلت: يا حسن الوجه، حساب الخلق كلهم عليك.

فجعل يبكي ويشهق، فرددت عليه، وهو يبكي، حتى جاء الخدم فحملوني وأخرجوني، وقال: اذهب بسلام».

*** الإمام القدوة الحافظ عيسى بن يونس بن أبي إسحاق أبو عمرو الهمذاني السبيعي وجعفر البرمكي: ـ (لا يتحدث أهل السنَّة أني أكلت للسنَّة ثمنًا»:**

«عن أبي بلال الأشعري، عن جعفر البرمكي قال:

ما رأينا في القراء مثل عيسى بن يونس، أرسلنا إليه، فأتانا بالرقة، فاعتل قبل أن يرجع.

---

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٢٣٥)، و«المنهج الأحمد» (١/ ٥٥).

فقلت له: يا أبا عمرو، قد أمرنا لك بعشرة آلاف.

فقال: هيه. قلت: خمسون ألفًا.

قال: لا حاجة لي فيها.

فقلت: ولم؟ واللَّه، لأهنِّئَنَّكها، وهي واللَّه مئة ألف.

قال: لا واللَّه، لا يتحدث أهل العلم أني أكلت للسنَّة ثمنًا، ألا كان هذا قبل أن ترسلوا إليَّ، فأما على الحديث فلا، ولا شربة ماء، ولا إهليلجة[1]»[2].

* **شيخ الإسلام محمد بن أسلم الطوسي والأمير عبداللَّه بن طاهر: «النظر في وجوهكم معصية»:**

❑ جاء في «سير أعلام النبلاء» (١٢/ ٢٠٢) في ترجمة الإمام الحافظ الرباني، شيخ الإسلام، أبو الحسن محمد بن أسلم بن سالم الكندي مولاهم الخراساني الطوسي ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«عن أحمد بن سلمة، حدثنا محمد بن أسلم، قال: لما أُدخلت على عبداللَّه بن طاهر، ولم أسلم عليه بالإمرة، غضب وقال:

عمدتم إلى رجل من أهل القبلة فكفرتموه، فقيل: قد كان ما أُنهي إلى الأمير.

فقال ابن طاهر: شراك نَعلي عمر بن الخطاب خير منك، وكان يرفع رأسه إلى السماء، وقد بلغني أنك لا ترفع رأسك إلى السماء.

فقلت برأسي هكذا إلى السماء ساعة، ثم قلت: ولم لا أرفع رأسي إلى السماء؟ وهل أرجو الخير إلا ممن في السماء؟! ولكني سمعت مؤمل بن

---

(١) الإهليلج: شجر ينبت في الهند والصين وأفغانستان، ثمرة على هيئة حب الصنوبر الكبار.

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٩٣).

إسماعيل يقول: سمعت سفيان يقول: النظر في وجوهكم معصية.

فقال: بيده هكذا، أي: يُحبس».

*** إمام أهل السنة أحمد بن حنبل ودرة من درره: «قلوبنا لازمة للحق»:**

قيل لأحمد بن حنبل أيام المحنة ـ أي: أيام ظهور المعتزلة على أهل السنة ودعوتهم الناس بسلطان الدولة إلى القول بخلق القرآن ـ: يا أبا عبدالله ألا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟!

فقال: كلا! إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة! وقلوبنا بعدُ لازمةٌ للحق[1].

*** الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك:**

❑ قال عمرو بن ميمون الأودي: صحبت معاذًا باليمن، فما فارقته حتى واريته التراب بالشام، ثم صحبت بعده أفقه الناس: عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، فسمعته يقول: «عليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة».

ثم سمعته يومًا من الأيام وهو يقول: «سيلي عليكم ولاة يؤخرون الصلاة عن مواقيتها، فصلوا الصلاة لميقاتها، فهي الفريضة، وصلوا معهم فإنها لكم نافلة».

قال: قلت: يا أصحاب محمد، ما أدري ما تحدثون؟

قال: وما ذاك؟

قلت: تأمرني بالجماعة وتحضني عليها، ثم تقول: صل الصلاة وحدك، وهي الفريضة، وصل مع الجماعة وهي نافلة.

قال: يا عمرو بن ميمون قد كنت أظنك من أفقه أهل هذه القرية،

---

(١) «مناقب الإمام أحمد» لابن الجوزي ص(٣١١).

تدري ما الجماعة؟

قلت: لا. قال: الجماعة ما وافق الحق وإن كنت وحدك.

وفي لفظ آخر: «فضرب على فخذي، وقال: ويحك! إن جمهور الناس فارقوا الجماعة، وإن الجماعة ما وافق طاعة اللَّه عز وجل»[1].

*** مزاحم مولى عمر بن عبدالعزيز وعمر بن عبدالعزيز:**

«إني أحذرك ليلة تمخض القيامة في صبيحتها تقوم الساعة»:

عن نوفل بن عمارة، قال عمر بن عبدالعزيز: إن أول من أيقظني في هذا الشأن مزاحم، حبست رجلاً فجاوزت في حبسه القدر الذي يجب عليه، فكلمني في إطلاقه.

فقلت: ما أنا بمخرجه حتى أبلغ في الحيطة عليه بما هو أكثر مما هو عليه.

فقال مزاحم: يا عمر بن عبدالعزيز! إني أحذرك ليلة تمخض القيامة، في صبيحتها تقوم الساعة. يا عمر! ولقد كدت أنسى اسمك مما أسمع، قال الأمير، وقال الأمير: فواللَّه ما هو إلا أن قال ذلك فكأنما كشف عن وجهي غطاء! فذكروا أنفسكم ـ رحمكم اللَّه ـ فإن الذكرى تنفع المؤمنين[2].

*** شيخا المسلمين الفضيل بن عياض وسفيان بن عيينة:**

«عن محمد بن حسان السمتي قال:

شهدت الفضيل بن عياض وجلس إليه سفيان بن عيينة، فتكلم الفضيل فقال: كنتم معشر العلماء سرج البلاء يستضاء بكم، فصرتم ظلمة، وكنتم نجومًا يهتدى بكم، فصرتم حيرة لا يستحي أحد منكم أن يأخذ مال هؤلاء

(١) «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان» لابن القيم (١/ ٦٩).

(٢) «مناقب عمر بن عبدالعزيز» لابن الجوزي ص(١٤٠).

الظلمة، ثم يسند ظهره ويقول: حدثنا فلان عن فلان.

فقال سفيان: لئن كنا لسنا بصالحين فإنا نحبهم»[١]

*** فقه سيد التابعين سعيد بن المسيب: «واللَّه لا يسلمني اللَّه ما أخذتُ بحقوقه»:**

عن المطلب بن السائب قال: كنت جالسًا مع سعيد بن المسيب فمر بريد لبني مروان، فقال له سعيد: من رسل بني مروان أنت؟

قال: نعم.

قال: كيف تركت بني مروان؟ قال: بخير.

قال: تركتهم يجيعون الناس، ويشبعون الكلاب؟

فاشرأب الرسول، فقمت إليه، فلم أزل أجزيه حتى انطلق.

فقلت لسعيد: يغفر اللَّه لك تشييط بدمك؟

فقال: اسكت يا أحمق، فواللَّه لا يسلمني اللَّه ما أخذت بحقوقه[٢].

*** الإمام الكبير ابن جرير الطبري وعفَّة نفسه:**

جاء في «معجم الأدباء» (١٨/ ٨٧ ـ ٨٨) في ترجمة الإمام عالم العصر شيخ المفسرين محمد بن جرير الطبري ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«أهدى أبو علي محمد بن عبيداللَّه الوزير إلى أبي جعفر برمان فقبله، وفرقه في جيرانه، فلما كان بعد أيام وجه إليه بوعاء فيه بدرة فيها عشرة آلاف درهم، وكتب معها رقعة وسأله أن يقبلها، وقال الوزير لمن حملها:

إن قبلها وإلا فاسأله أن يفرقها في أصحابه ممن يستحق، فلما دخل

---

(١) «صفة الصفوة» لابن الجوزي (٢/ ٢٤١)، وكتاب «القصاص والمنكرين» لابن الجوزي ص(٢٣٢).

(٢) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (١/ ٥٥).

عليه وأوصل الرسالة، قال:

يغفر اللَّه لنا وله، أقرء عليه السلام، وقل له: أرددنا إلى الرمان وامتنع من قبول الدراهم، فقال له الرسول: «**فرقها في أصحابك على من يحتاج إليها ولا تردها**».

فقال: هو أعرف الناس إذا أراد ذلك. وأجاب عن الرسالة، وبعد مدة جاءه مال ضيعته فجعله بضاعة وأرسله إلى الوزير، وفيها ما قيمته أربعون دينارًا».

*** القاضي محمد بن أبي المنظور الأنصاري قاضي القيروان وصاحب المغرب المنصور العُبيدي:**

«ما أخذ منا صلة، ولا نقدر على عزله»:

جاء في معالم الإيمان (٣/ ٥٦ ـ ٥٧) و«سير أعلام النبلاء» (١٥/ ١٥٧ ـ ١٥٨) في ترجمة المنصور أبو الطاهر إسماعيل بن القائم بن المهدي العبيدي الباطني، صاحب المغرب ما نصه:

«ومن محاسنه أنه ولَّى محمد بن أبي المنظور الأنصاري قضاء القيروان، وكان من كبار أصحاب الحديث، قد لقي إسماعيل القاضي، والحارث بن أبي أسامة، فقال: بشرط أن لا آخذ رزقًا ولا أركب دابة ـ ولا يقبل شهادة من طاف بهم أو قاربهم، ولا يركب إليهم مهنيًا ولا معزيًا[1] ـ فولاه ليتألف الرعية.

فأحضر إليه يهودي قد سب ـ يعني النبي ﷺ ـ فبطحه وضربه إلى أن مات تحت الضرب. وأتى يومًا إلى بيته فوجد سُلاف داية السلطان، تشفع في امرأة نائحة فاسقة ليطلقها من حبسه، فقال: مالك؟

(١) الزيادة من «معالم الإيمان» (٣/ ٥٥).

قالت: قضيب ـ محبوبة المنصور تطلب منك أن تطلقها.

فقال: يا منتنة، لولا شيء لضربتك، لعنك اللَّه ولعن من أرسلك.

فولولت، وشقت ثيابها ثم ذكرت أمرها للمنصور.

فقال: ما أصنع به؟ ما أخذ منا صلة، ولا نقدر على عزله نحن نحب إصلاح البلد».

* **إبراهيم بن أدهم يستقتل:**

عن شعيب بن حرب: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض هؤلاء الولاة، فقال له: من أين معيشتك؟

❑ قال إبراهيم:

نُرَقِّعُ دنيانا بتمزيق ديننا فلا دِينُنا يبقى ولا ما نرقع

❑ قال: فقال الوالي: «أخرجوه فقد استقتل!»[1].

* **محدث مصر بقية بن الوليد وهارون الرشيد:**

«اسكت، فما كنت عنده هامان حتى أكون عنده فرعون»:

جاء في «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٥٣١ ـ ٥٣٢) في ترجمة أحد مشاهير الأعلام الحافظ العالم محدث مصر، بقية بن الوليد بن صائد أبو يحمد الحميري الكلاعي ثم الميتمي الحمصي المتوفي سنة ١٩٧هـ ـ رحمه اللَّه ـ:

عن عطية بن بقية قال: قال أبي: «دخلت على هارون الرشيد، فقال لي: يا بقية إني أحبك، فقلت: ولأهل بلدي يا أمير المؤمنين؟

قال: إنهم جند سوء لهم كذا وكذا غدرة. ثم قال: حدثني.

فقلت: حدثنا محمد بن زياد، عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه

(١) «تهذيب الكمال» (٢/ ٣٦).

ﷺ : «أنا سابق العرب» وذكر الحديث.

فقال: زدني، فقلت: حدثني محمد بن زياد، عن أبي أمامة قال: قال رسول اللَّه ﷺ : «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفًا مع كل ألف سبعين ألفًا، وثلاث حثيات من حثيات ربي».

قال: فامتلأ من ذلك فرحًا، وقال: يا غلام الدواة. وكان القيم بأمره الفضل بن الربيع، ومرتبته بعيدة فناداني: يا بقية ناول أمير المؤمنين الدواة بجنبك.

قلت: ناوله أنت يا هامان.

فقال: أسمعت ما قال يا أمير المؤمنين؟

قال: أسكت فما كنت عنده هامان حتى أكون أنا عنده فرعون.

«ليس عندي ما أخافك عليه»:

جاء في «تاريخ بغداد» (٦/ ١١٢) و«تهذيب الكمال» (٢/ ١٥٠) في ترجمة إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي مولاهم أبو شيبة الكوفي قاضي واسط المتوفي سنة ١٦٩هـ ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«عن العتبي عن أبيه، قال:

قال موسى بن عيسى ـ وهو يومئذ أمير الكوفة ـ لأبي شيبة: مالك لا تأتيني؟

قال: أصلحك اللَّه إن أتيتك فقربتني فتنتني، وإن باعدتني أحزنتني، وليس عندي ما أخافك عليه، ولا عندك ما أرجو.

فما رد عليه شيئًا».

«واللَّه ما أخذت، ولا لبست لهم ثوبًا»:

جاء في ترتيب «المدارك» (٢/ ٥٩١) و«الديباج المذهب» (٢/ ٣٨) في

ترجمة الإمام العلامة، فقيه المغرب أبو سعيد عبدالسلام بن حبيب التنوخي الحمصي الأصل المغربي القيرواني المالكي، قاضي القيروانة وصاحب «المدونة» والملقب بسُحنون ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«عن سحنون قال: أَكْلٌ بالمسكنة، ولا أَكْلٌ بالعلم محب الدنيا أعمى، لم ينوره العلم، ما أقبح بالعالم أن يأتي الأمراء، واللَّه ما دخلت على السلطان إلا وإذا خرجت حاسبت نفسي، فوجدت عليها الدرك، وأنتم ترون مخالفتي لهواه، وما ألقاه من الغلظة، واللَّه ما أخذت ولا لبست لهم ثوبًا».

*** شيخ الإسلام إبراهيم الحربي يرد أعطيات الخليفة وهو في أمسّ الحاجة إليها: «إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك»:**

جاء في المنهج الأحمد (١/١٩٨) في ترجمة الشيخ الإمام الحافظ العلامة، شيخ الإسلام، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق البغدادي الحربي صاحب التصانيف ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«قال أبو عثمان الرازي: جاء رجل من أصحاب المعتضد إلى إبراهيم الحربي بعشرة آلاف من عند المعتضد يسأله عن أمير المؤمنين تفرقه ذلك، فرده، فانصرف الرسول ثم عاد فقال: إن أمير المؤمنين يسألك أن تفرقة في جيرانك، فقال: عافاك اللَّه هذا مالٌ لم نشغل أنفسنا بجمعه فلا نشغلها بتفرقته. قل لأمير المؤمنين: إن تركتنا وإلا تحولنا من جوارك».

للَّه دره ـ يفعل هذا مع شدة فقره وحاجته:

❑ قال إبراهيم الحربي: أفنيت من عمري ثلاثين سنة برغيفين، إن جاءتني بهما أمي أو أختي، وإلا بقيت جائعًا إلى الليلة الثانية، وأفنيت ثلاثين سنة برغيف في اليوم والليلة، إن جاءتني امرأتي أو بناتي به، وإلا بقيت جائعًا عطشانًا، والآن آكل نصف رغيف وأربع عشرة تمرة إن كان بُرْنيًا، أو نيفا وعشرين إن كان دَقلاً».

❑ وقال ـ رحمه اللَّه ـ: «ما كنا نعرف من هذه الأطبخة شيئًا، كنت أجيء من عشيٍّ إلى عشيٍّ، وقد هيّأت لي أمي باذنجانة مشوية أو لعقة بِنٍّ أو باقة فجل».

❑ وقال أبو علي الخيّاط المعروف بالميِّت: «كنت يومًا جالسًا مع إبراهيم الحربي على باب داره، فلما أن أصبحنا؛ قال لي: يا أبا علي، قم إلى شغلك؛ فإن عندي فجلة قد أكلت البارحة خضرها، أقوم أتغدّى بجزرتها»[1].

*** الحافظ الإمام علي بن الجعد الجوهري والمأمون: «لا يُشترى إلاّ من هذا»:**

جاء في «تاريخ بغداد» علي بن الجعد أبو الحسن البغدادي الجوهري ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«عن سليمان بن علي بن الجعد قال:

أحضر المأمون أصحاب الجوهر، فناظرهم على متاع كان معهم، ثم نهض لبعض حاجته، ثم خرج، فقام له كل من في المجلس إلا علي بن الجعد، فنظر إليه كالمغضب ثم استخلاه، فقال: يا شيخ، ما منعك أن تقوم؟

قال: أحللتُ أمير المؤمنين للحديث الذي نأثره عن النبي ﷺ، قال: وما هو؟ قال: سمعت مبارك بن فضالة، سمعت الحسن يقول: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا، فليتبوأ مقعدة من النار»**. فأطرق المأمون، ثم رفع رأسه فقال: «لا يشترى إلا من هذا. فاشتروا منه يومئذٍ بثلاثين ألف دينار».

---

(١) «تاريخ بغداد» (٦/ ٣١)، و«طبقات الحنابلة» (١/ ٨٦ ـ ٨٨)، و«إنباه الرواة» للقفطي (١/ ١٩٠)، و«سير أعلام النبلاء» (١٣/ ٣٦٧).

والبِنُّ بكسر الباء: الطبقة من الشحم، وبضم الباء: إدام يُصنَع من تمكَر المُرِّي: أي: من ردئ الإدام وأسوئه، يتأدم به الغرباء لفقرهم. والباقة، أي: الحزمة.

*** شيخ الشام، الحافظ القدوة آدم بن أبي إياس أبو الحسن الخراساني العسقلاني ـ رحمه اللَّه ـ حيًّا وميتًا:**

«قال أبو بكر الأعين: أتيت آدم العسقلاني، فقلت له: عبداللَّه بن صالح كاتب الليث يقرئك السلام، فقال: لا تقرئه السلام، قلت: ولم؟

قال: لأنه قال: القرآن مخلوق.

فأخبره بعذره، وأنه أظهر الندامة وأخبر الناس بالرجوع.

قال: فأقرئه السلام، وإذا أتيت أحمد بن حنبل، فأقرئه السلام وقل له:

«يا هذا اتق اللَّه، وتقرب إلى اللَّه تعالى بما أنت فيه، ولا يستفزنك أحد؛ فإنك ـ إن شاء اللَّه ـ مشرف على الجنة، وقل له: أخبرنا الليث عن ابن عجلان، عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة، قال: قال رسول اللَّه ﷺ: **«من أرادكم على معصية اللَّه فلا تطيعوه»**.

قال: فأبلغت ذلك أبا عبداللَّه، فقال: رحمه اللَّه حيًّا وميتًا، فلقد أحسن النصيحة»[1].

*** الإمام الواعظ الكبير ابن سمعون البغدادي وعضد الدولة: «الحمد للَّه الذي سلمه منا، وسلمنا منه»:**

جاء في «سير أعلام النبلاء» (١٦/ ٥٠٩ ـ ٥١٠) في ترجمة الإمام، الواعظ الكبير المحدث، أبو الحسين محمد بن أحمد بن إسماعيل بن عَنْبَس البغدادي، شيخ زمانه ببغداد المعروف بابن سمعون ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

«عن أبي الثناء شكر العضدي قال: لما دخل عضد الدولة بغداد وقد هلك أهلها قتلاً وخوفًا وجوعًا للفتن التي اتصلت بين السنة والشيعة فقال: آفة هؤلاء القصاص، فمنعهم، وقال: من خالف أباح دمه، فعرف ابن سمعون،

(١) «تاريخ بغداد» (٧/ ٢٧ ـ ٢٨).

فجلس على كرسيه، فأمرني مولاي، فأحضرته. فدخل رجل عليه نور.

قال شكر: فجلس إلى جنبي غير مكترث فقلتُ: إن هذا الملك جبارٌ عظيم، ما أوثر لك مخافته، وإني موصلك إليه، فقبل الأرض وتلطف له واستعن باللَّه عليه، فقال: الخلق والأمر للَّه.

فمضيتُ به إلى حجرة قد جلس فيها الملك وحده، فأوقفته ثم دخلت أستأذن، فإذا هو إلى جانبي، وحول وجهه إلى دار عز الدولة ثم تلا: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ﴾ [هود: ١٠٢]، ثم حول وجهه وقرأ: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، ثم أخذ في وعظه، فأتى بالعجب، فدمعت عين الملك، وما رأيته ذلك منه قط، وشرك كمه على وجهه، فلمّا خرج أبو الحسين ـ رحمه اللَّه، قال الملك: اذهب إليه بثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب من الخزانة فإن امتنع فقل له: فرِّقها في أصحابك، وإن قَبِلَها فجئني برأسه، ففعلت.

فقال: إن ثيابي هذه قد فُصِّلت من نحو أربعين سنة ألبسها يومَ خروجي وأطويها عند رجوعي، وفيها متعةٌ وبقيةٌ، ونفقتي من أجرة دارٍ خلفها أبي، فما أصنع بهذا؟

قلت: فرِّقها على أصحابك. قال: ما في أصحابي فقير، فعدتُ فأخبرته، فقال: الحمدُ اللَّه الذي سلَّمه منَّا وسلمنا منه».

*** الإمام الفقيه عيسى بن مسكين الإفريقي والأمير إبراهيم بن الأغلب: «هذا رجل يحاربنا باللَّه، لا حاجة لنا بهم»:**

جاء في «ترتيب المدارك» (٣/٢١٨) في ترجمة الإمام الفقيه عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي ـ رحمه اللَّه ـ أحد أصحاب سحنون ما نصه:

«بينما عيسى يومًا بجامع رقادة، إذ سمع صياح قوم باللَّه ثم به.

فقال لمن حوله: انظروا من هؤلاء؟

قالوا: نهب تونس، فأمر بإمساكهم، فشكاه الذي نهبهم إلى الأمير، إبراهيم ـ يعني ابن الأغلب ـ فأرسل إليه في إطلاقهم.

فقال لكاتبه: اكتب إليه: ﴿ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار﴾ إلى قوله: ﴿بصير بالعباد﴾.

فلما قرأها، قال: هذا رجل يحاربنا باللَّه، لا حاجة لنا بهم، اتركوهم».

*** إبراهيم بن أسلم والحكم المستنصر باللَّه: «أمنت بفضلِ اللَّهِ من نُوبِ الدهر»:**

جاء في تاريخ قضاة الأندلس (١٦٤ ـ ١٦٥) في ترجمة القاضي أبي البركات محمد بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن خَلَف السُّلميُّ ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«ومن كلامه ـ رحمه اللَّه ـ:

من اقتصر على التعيش من مرافق الملوك، ضاع هو ومن له، وشمله القلُّ، وخامره الذلُّ، اللَّهم! إلاَّ من القوة باللَّه قد بلغ من الزهد إلى الحدِّ الذي يكسبه الراحة بالخروج عن متاعها، وترك شهوتها، قليلها وكثيرها، مالِها وجاهِها، بأمرٍ آخر! ومن لنا بالعون على تحصيل هذا المقام، ولا سيما في هذا الزمان، ولم نسمع ممن قاربه من الولاة المتقدمين بالأندلس إلا ما حُكيَ عن إبراهيم بن أسلم، وقد أراد الحكم المستنصر باللَّه رياضته، فقطع عنه جرايته؛ فكتب إليه عند ذلك:

تَزيدُ على الإقلالِ نفسي نَزَاهةً ... وتأنَسُ بالبَلْوى وتَقوى مع الفَقْرِ

فَمَنْ كانَ يخشى صَرفَ دَهرٍ فإنني ... أَمِنتُ بِفَضلِ اللَّهِ مِنْ نُوبِ الدَّهرِ

فلما قرأ الحكم بيتيه، أمر بردِّ الجراية، وحملها إليه، فأعرض عنها، وتمنَّع من قبولها، وقال:

«إني، والحمد للَّه! تحت جراية من إذا أعصيته، لم يقطع عني جرايته!

فليفعل الأمير ما أحبَّ!».

فكان الحكم بعد ذلك يقول: «لقد أكسبنا ابن أسلم بمقالته مخزاةً عظم منَّا موقعها، ولم تسهل علينا المقارضة بها!».

*** الإمام الزاهد عسكر بن الحصين أبو تراب النخشبي وأمير بلده: «إن المُزَيِّن ما أخذها فخذها أنت»:**

«عن أبي علي الحسين بن خيران الفقيه قال: مر أبو تراب النخشبي بمُزَيِّن، فقال له: تحلق رأسي للَّه عز وجل.

فقال له: اجلس، فجلس فبينا هو يحلق رأسه، مر به أمير من أهل بلده، فسأل حاشيته فقال لهم: أليس هذا أبا تراب؟ فقالوا: نعم.

فقال: إيش معكم من الدنانير؟

فقال له رجل من خاصته: معي خريطة فيها ألف دينار.

فقال: إذا قام فأعطه إياها، واعتذر إليه وقل له: لم يكن معنا غير هذه. فجاء الغلام إليه وقال له: إن الأمير يقرأ عليك السلام، وقال لك: ما حضر معنا غير هذه.

قال له: ادفعها إلى المزين.

فقال المزين: إيش أعمل بها؟

فقال: خذها، فقال: واللَّه لو أنها ألفا دينار ما أخذتها.

فقال له أبو تراب: سر إليه فقل له:

إن المزين ما أخذها، فخذها أنت فاصرفها في مهماتك»[1].

*** «لا آتيه ألبتة»:**

جاء في «سير أعلام النبلاء» (١٧/٢٤٨ ـ ٢٤٩) في ترجمة الإمام

(١) «طبقات الشافعية» للسبكي (٢/٥٦).

الحافظ المحدث، شيخ خراسان محمد بن الحسين الأزدي السلمي، أبو عبدالرحمن النيسابوري الصوفي، صاحب التصانيف ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

قال السلمي: ورأينا في طريق همذان أميرًا، فاجتمعتُ به، فقال: لا بدَّ من كتابة «حقائق التفسير» فنسخ له في يوم، فُرِّقَ على خمسة وثمانين ناسخًا، ففرغوه إلى العصر، وأمر لي بفرس جواد ومئة دينار وثياب كثيرة.

فقلت: قد نغَّصتَ عليَّ وأفزعتني وأفزعتَ الحاجَّ، وقد نهى النبي ﷺ عن ترويع المسلم، فإن أردتَ أن يبارك اللَّه لك في الكتاب، فاقض لي حاجتي.

قال: وما هي؟ قلت: أن تعفيني من هذه الصلة، فإني لا أقبل ذلك.

فَفَرَّقها في نُقَباء الرفقة، وبعث من خفَّرنا، وكان الأمير نصر بن سُبُكْتِكِين صاحب الجيش عالمًا، فلما رأى ذلك التفسير، أعجبه، وأمر بنسخه في عشر مجلدات، وكِتْبةِ الآيات بماء الذهب، ثم قالوا: تأتي حتى يسمع الأمير الكتاب.

فقلت: لا آتيه البتة، ثم جاؤوا خلفي إلى الخانقاه، فاختفيت، ثم بعث بالمجلد الأول، وكتبت له بالإجازة».

*** الحافظ القدوة محمد بن رافع النيسابوري والأمير طاهر بن عبداللَّه: «خذ خذ، لا أحتاج إليه»:**

«قال زكريا بن دلُّوية: بعث الأمير طاهر بن عبداللَّه الخزاعي إلى محمد ابن رافع بخمسة آلاف درهم على يد رسولٍ له، فدخل عليه بعد صلاة العصر، وهو يأكل الخبز مع الفِجل! فوضع الكيس بين يديه، وقال: بعثَ الأمير طاهر بهذا المال لتنفقه على أهلك.

فقال له محمد بن رافع: خُذْ خُذْ، لا أحتاج إليه، فإن الشمس قد بلغت رأس الحيطان، إنما تغرب بعد ساعة، قد جاوزت الثمانين، إلى متى أعيش؟

فرد المال ولم يقبله، فأخذ الرسول المالَ وذهب، فدخل على محمد بن رافع ابنهُ فقال له:

يا أبه ليس لنا خبزٌ الليلة! وكان محمد بن رافع يخرجُ إلينا في الشتاء الشاتي، وقد لبس لحافه الذي يلبسه بالليل!»[1].

*** الإمام العابد الواعظ أبو عبدالله محمد بن يحيى بن علي الزبيدي والوزير الزينبي:**

«قال ابن الجوزي: كان يقول الحق وإن كان مرًّا، لا تأخذه في اللَّه لومة لائم.

قيل: دخل على الوزير الزَّينبي وعليه خِلعةُ الوزارة، وهم يهنئونه، فقال: هو ذا يوم عزاء لا يوم هناء.

فقيل: ولم؟ قال: أهنيءُ على لبس الحرير؟!»[2].

*** الإمام العابد محرز بن خلف بن أبي رزين أبو محمد التونسي والصقلي: «الصراط أحدُّ من السيف ومن السلطان وأمره»:**

«كان بتونس صقلّي أمر الناس ألاّ يكبروا على الميت، إلاّ خمس تكبيرات. فقال له المشارقة: أبو كسية يكبر أربعًا، ولا يؤذن حَيَّ على خير العمل، ولا يقرأ بسم اللَّه الرحمن الرحيم في الصلاة، ولا يسلم تسليمتين، ولا يؤذن الصلاة خير من النوم.

فأرسل وراءه، فدخل عليه محرز، وحول الصقلي المشارقة، فلم يسلِّم.

فقال له الصقلي: السلطان يأمر بكذا، وأنت لا تفعل أمر السلطان، احذر من السيف.

---

(١) «تذكرة الحفاظ» للذهبي (٢/ ٥١٠)، و«تهذيب التهذيب» لابن حجر العسقلاني (٩/ ١٦١).

(٢) «المنتظم» لابن الجوزي (١٠/ ١٥٨).

فقال له: الصراط أحد من السيف، ومن السلطان وأمره!

ثم انصرف، فبُهت الصقلي ولم يتكلم بكلمة وغشي عليه، فلما أفاق من غشيته، قال: تقولون أبو كسية؟ لما أشار إليَّ حسبت كأن من ضربني برمح في القلب، فغشي عليَّ»[1].

*** الإمام الفقيه جبلة بن حمود الصدفي صاحب سحنون وعبيدالله الشيعي: «قطعوها قطعهم الله»:**

جاء في «ترتيب المدارك» (٣/ ٢٥٢) في ترجمة الإمام الفقيه جبلة بن حمود بن عبدالرحمن بن جبلة أبو يوسف الصدفي أحد أصحاب سحنون ـ رحمه الله ـ: «قال الفقيه ابن سعدون القروي: لما دخل عبيدالله الشيعي، القيروان، وخطب أول جمعة، وجبلة حاضر، فلما سمع كفرهم قام قائمًا وكشف عن رأسه حتى رآه الناس وخرج يمشي إلى آخر الجامع، ويقول:

قطعوها قطعهم الله.

فما حضرها أحد من أهل العلم بعد هذا».

*** ما أصنع بابن ملك الجبل:**

جاء في «الأنساب» للسمعاني (٧٧/ ٢٨٩) في ترجمة الرجل الصالح المحدّث ابن عامر قبيصة بن عقبة السوائي الكوفي شيخ الإمام أحمد والبخاري المتوفي سنة ٢١٥ هـ ـ رحمه الله ـ ما يلي:

«حُكي أن دلف بن أبي دلف العجلي ـ وهو ابن ملك سيأتي في هذا الخبر ـ جاء إلى باب قبيصة بن عقبة، ومعه الخدم والغلمان لكتابة الحديث.

فدُقَّ عليه الباب، فأبطأ قبيصة بالخروج، فعاوده الخدم ـ بالدق ـ وقيل له: إن ابن ملك الجبل على الباب وأنت لا تخرج إليه. فخرج وفي طرف

(١) «ترتيب المدارك» (٤/ ٧١٣).

إزاره كسر من الخبز، فقال لهم: رجل قد رضي من الدنيا بهذا ما يصنع بابن ملك الجبل! والله لا أحدثه».

*** صيروا أمر الله عز وجل فضولاً:**

جاء في كتاب الآداب الشرعية (١/ ٢١٧) ما نصه:

«عن عمر بن صالح: قال لي أبو عبدالله ـ أحمد بن حنبل ـ:

يا أبا حفص يأتي على الناس زمان المؤمن بينهم مثل الجيفة، ويكون المنافق يشار إليه بالأصابع.

فقلت: وكيف يشار إلى المنافق بالأصابع؟

قال: **صيروا الله عز وجل فضولاً.**

قال: المؤمن إذا رأى أمرًا بمعروف أو نهيًا عن منكر لم يصبر حتى يأمر وينهى، يعني قالوا هذا فضول.

قال: والمنافق كل شيء يره قال بيده على أنفه، فيقال: نعم الرجل ليس بينه وبين الفضول عمل».

*** كيف منزلتك من قومك؟:**

جاء في كتاب «تنبيه الغافلين» للنحّاس (ص٩٦) ما نصه:

«سأل كعب الأحبار أبا مسلم الخولاني فقال له: كيف منزلتك في قومك؟ قال: حسنة. قال كعب: إن التوراة لتقول غير ذلك. قال: وما تقول؟ قال: تقول: إن الرجل إذا أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه. فقال: صدقت التوراة وكذب أبو مسلم».

*** شيخ الإسلام عبدالله بن المبارك ووالي مرو عبدالله بن أبي العباس الطرسوسي: «أذل بدني ولا أذل حديث رسول الله ﷺ»:**

«عن أحمد بن أبي الحواري قال: حدثني بعض أصحابنا قال: جاء

عبدالله بن أبي العباس الطرسوسي ـ وكان والياً بمرو ـ إلى منزل عبدالله بن المبارك بالليل ومعه كتابه والدواة والقرطاس، فسأله عن حديث فأبى أن يحدثه.

ثم سأله عن حديث فأبى أن يحدثه ـ ثلاث مرات ـ فقال لكتابه: اطو قرطاسك ما أرى أبا عبدالرحمن يرانا أهلاً أن يحدثنا.

فلما قام يركب مشى معه ابن المبارك إلى باب الدار، فقال له: يا أبا عبدالرحمن، لِمَ لَمْ ترنا أهلاً أن تحدثنا وتمشي معنا؟

فقال: إني أحببت أن أذل لك بدني، ولا أذل لك حديث رسول الله ﷺ»[1].

*** شيخ الإسلام ابن تيمية وقطلوبك الكبير:**

شكا لابن تيمية إنسان من قطلوبك الكبير، وكان المذكور فيه جبروت وأخذ أموال الناس واغتصابها، وحكاياته في ذلك مشهورة.

فلما دخل إليه الشيخ وتكلم معه في ذلك، قال: أنا الذي كنت أريد أجيء إليك لأنك رجل عالم زاهد ـ يعني يستهزئ به.

فقال له: لا تعمل عليَّ دركوان[2]، موسى كان خيراً مني وفرعون كان شراً منك، وكان موسى كل يوم يجيء إلى باب فرعون مرات، ويعرض عليه الإيمان»[3].

*** الفقيه داود بن علي الأصبهاني الظاهري وأبو عبدالله المحاملي القاضي: «أنا بأمانة العلم أدخلتك إليّ»:**

«قال أبو عبدالله المحاملي: صليتُ صلاة عيد الفطر في جامع المدينة،

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٦٩)، و«تذكرة الحفاظ» (١/ ٢٥٥).

(٢) لا تعمل عليّ دركوان: أي لا تتهزئ بي.

(٣) «فوات الوفيات» لمحمد بن شاكر الكتبي (١/ ٧٥).

وقلتُ: أدخل على داود بن علي فأُهنئه، فجئته وإذا بين يديه طبقٌ فيه أوراق هندباء، وعُصارة فيها نُخالة وهو يأكل. فهنأته وعجبتُ من حاله! ورأيت أن جميع ما في الدنيا ليس بشيء.

فخرجت من عنده ودخلت على رجل من محبي الصنيعة ـ أي فعل الخير والكرم ـ يقال له: الجرجاني، فخرج إليَّ حاسر الرأس حافي القدمين، وقال لي: ما عَنَّى القاضي؟!

قلت: مُهِمٌّ! قال: ما هو؟

قلتُ: في جوارك داود بن علي ومكانه من العلم تعلمُهُ، وأنت كثيرُ الصلة والرغبة في الخير تغفُلُ عنه؟! وحدثته بما رأيت.

❑ فقال الجرجاني: داودُ شرسُ الخُلق! وجهتُ إليه البارحة بألف درهم ليستعين بها فردها عليَّ، وقال للغلام: قُلْ له: بأيِّ عينٍ رأيتني؟ وما الذي بلغك من حاجتي، وخَلِّني حتى بعثت لي بهذا؟!

❑ قال المحاملي: فعجبتُ وقلت للجرجاني: هات الدراهم، فإني أحملها إليه فدفعها إليَّ، وقال للغلام: ائتني بكيس آخر، فوزن ألفًا أخرى وقال: تلك لنا وهذه لعناية القاضي.

فأخذت له الألفين وجئت إليه، فقرعتُ الباب ودخلتُ وجلستُ ساعة، ثم أخرجت الدراهم وجعلتها بين يديه.

فقال: هذا جزاء من ائتمنك على سره؟ أنا بأمانة العلم أدخلتك إليَّ، ارجع فلا حاجة لي فيما معك.

❑ قال المحاملي: فرجعتُ وقد صغُرت الدنيا في عيني، وأخبرت الجرجاني فقال: «إني أخرجت هذه الدراهم للَّه تعالى، فلا ترجعُ في مالي،

فليتولّ القاضي إخراجها في أهل البر والعفاف»[١] .

* لله در الإمام النووي:

جاء في ترجمة الإمام النووي للحافظ السخاوي ص(٨٠) ما نصه:

«لما خرج الظاهر (بيبرس) إلى قتال التتار بالشام أخذ فتاوى العلماء بجواز أخذ مال من الرعية يستنصر به على قتالهم.

فكتب له فقهاء الشام بذلك فأجازوه، فقال: هل بقي من أحد؟ فقيل له: نعم، بقي الشيخ محيي الدين النووي.

فطلبه فحضر فقال له: اكتب خطك مع الفقهاء. فامتنع، فقال: ما سبب امتناعك؟

فقال: أنا أعرف أنك كنت في الرق للأمير (بندقدار) وليس لك مال ثم منَّ اللَّه عليك وجعلك ملكًا، وسمعت عندك ألف مملوك، كل مملوك له حياصة من ذهب، وعندك مئتا جارية لكل جارية حق من الحلي، فإذا أنفقت ذلك كله، وبقيت مماليكك بالبنود والصرف بدلاً من الخوائص، وبقيت الجواري بثيابهن دون الحلي، أفتيتك بأخذ المال من الرعية.

فغضب (الظاهر) من كلامه وقال: اخرج من بلدي ـ يعني دمشق.

فقال: السمع والطاعة.

وخرج إلى (نوى) فقال الفقهاء: إن هذا من كبار علمائنا وصلحائنا وممن يقتدى به فأعده إلى دمشق.

فأمر برجوعه، فامتنع الشيخ وقال:

لا أدخلها والظاهر فيها، فمات بعد شهر»[٢] .

---

(١) «وفيات الأعيان» لابن خلكان (١/ ١٧٥ ـ ١٧٦).

(٢) «ترجمة الإمام النووي» للحافظ السخاوي ص(٨٠).

* «أردت نفسي على الموت فأبت فلما أجابتني ظهرت»:

جاء في تذكرة الحفاظ» (١/٢٥٦) في ترجمة الإمام العلم الزاهد الرباني العابد المجاهد عبداللَّه بن المبارك ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«لما قدم الرشيد عين زربة» طلب ابن المبارك.

❑ قال أبو سليمان: فذكرت وقلت: إن ابن المبارك رجل خراساني لا آمن أن يجيب أمير المؤمنين بما يكره فيقتله، فأكون قد أهلكت أمير المؤمنين، وأهلكت ابن المبارك، وأهلكت نفسي.

فأمسك الرشيد عن السؤال عنه ثم عاود، فقلت: يا أمير المؤمنين ابن المبارك جلف غليظ الطباع.

فأمسك الرشيد، ثم ظهر ابن المبارك بعد ثلاث فقيل له: تجنبت ثم ظهرت؟

قال: أردت نفسي على الموت فأبت، فلما أجابتني ظهرت».

* قل له يموت بدَيْنه ولا يعمل معهم:

جاء في كتاب «المنهج الأحمد» في ترجمة علي بن الحسن بن زياد ما نصه: «قال: كان أبي صديقًا لأحمد بن حنبل، فركبه الدَّيْن، فوجّه بي إلى أحمد بن حنبل، فقال له: يا أبا عبداللَّه قد ركبني الدَّيْن، فترى لي أن أعمل مع هؤلاء بقدر ما أقضي دَيْني؟

فقال لي: قل له يموت بدَيْنِه ولا يعمل معهم.

قل له: يلقى اللَّه بدينه ولا يعمل معهم»[1].

* * *

(١) «المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد» (١/٣١٣).

مالاً، وقد بلغني أن غرماءَهُ أثبتوا عندك، وقد قسَّطتَ لهم في ماله، فاجعلنا كأحدهم.

فقال له أبو حازم: قل له: أمير المؤمنين ـ أطال اللَّه بقاءه ـ ذاكر لما قال لي وقت ما قلَّدني، أنه قد أخرج الأمر من عُنقه، وجعله في عُنقي، ولا يجوز لي أن أحكم في مال رجل لـمُدَّع إلاَّ ببيِّنة.

فرجع إليه طريف، فأخبره.

فقال: قل له فلان وفلان يشهدان، يعني رجلين جليلين كانا في ذلك.

فقال: يشهدان عندي، وأسأل عنهما، فإن زُكِّيا قبلتُ شهادتهما، وإلاَّ أمضيتُ ما ثبتَ عندي.

فامتنع أولئكَ من الشهادة فزعًا، ولم يدفع إلى المعتضد شيئًا».

* **«هذا النصف درهم أحبُّ إليَّ منها»:**

«قال ابن وهب: سمعت مالكًا يُحدِّث: أن عاملاً من العمّال بعث إلى سعيد بن المسيب بخمسة آلاف درهم، فقال له الرسول: بعث بهذا إليك ـ أصلحك اللَّه ـ لتنفقها وتجعلها في حاجتك.

قال: وسعيد جاد مجد يُحاسب غلامه في نصف درهم يدّعيه قِبَله.

والغلام يقول: ليس لك عندي شيء.

قال سعيد للرسول: اذهب إلى عملك.

ثم عرضها عليه الرسول أيضًا، فقال: اغرب عني، وأبى أن يأخذها منه.

وكلّمه إنسان في تركه أن يأخذها.

فقال له ابن المسيب: هذا النصف درهم أحبُّ إليَّ منها»[1].

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٣٦١).

* وصية سفيان الثوري إلى عبَّاد بن عبَّاد:

«عن حفص بن عمرو ابن أخي سفيان الثوري قال:

كتب سفيان إلى عبَّاد بن عبَّاد:

أما بعد، فإنك في زمان كان أصحاب رسول اللَّه ﷺ يتعوّذون أن يُدركوه، ولهم من العلم ما ليس لنا، ولهم من القدم ما ليس لنا، فكيف بنا حين أدركناه على قلّة علم وقلّة صبر، وقلّة أعوان على الخير، وفساد من الناس، وكدر من الدنيا. فعليك بالأمر الأول والتمسك به، وعليك بالخمول، فإن هذا زمن خمول، وعليك بالعزلة وقلّة مخالطة الناس، فقد كان الناس إذا التقوا ينتفع بعضهم ببعض، فأما اليوم فقد ذهب ذاك، والنجاة في تركهم فيما نرى.

وإياك والأمراء أن تدنو منهم وتخالطهم في شيء من الأشياء، وإيّاك أن تُخدع فيُقال لك: تشفع وتدرأ عن مظلوم، أو تردّ مظلمة، فإن ذلك خديعة إبليس، وإنما اتخذها فُجّار القرّاء سُلَّمًا، وكان يُقال: اتقوا العابد الجاهل، والعالم الفاجر، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون.

وما لقيت من المسألة والفتيا فاغتنم ذلك، ولا تُنافسهم فيه، وإيّاك أن تكون كمن يحب أن يُعمل بقوله، أو يُنشَر قوله، أو يُسمَع من قوله، فإذا ترك ذلك منه عرف فيه.

وإياك وحب الرياسة، فإن الرجل تكون الرياسة أحب إليه من الذهب والفضة، وهو باب غامض لا يُبصره إلا البصير من العلماء السماسرة، فتفقّد نفسك، واعمل بنيّة، واعلم أنه قد دنا من الناس أمر يشتهي الرجل أن يموت، والسلام»[1].

(١) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٧٦ ـ ٣٧٧).

*** الإمام القاضي عيسى بن مسكين بن منصور الإفريقي لا يرغب في لقاء رجال السلطان:**

«قال أبو بكر بن اللباد: شاهدتُ ابن مسكين في جنازة بعض نساء الأمير إبراهيم، جالسًا في المقبرة، إذ جاءه الأمير أبو العباس، فقام إليه الناس، وسلَّموا عليه، وعيسى جالس ما حلّ حبوته، فلمّا نظر إليه قال:

يا قاضي، السلام عليك ورحمة اللَّه.

فقال له: وعليك السلام ورحمة اللَّه وبركاته.

ثم سار إذ جاءه أبوه إبراهيم، فوقف إليه الناس، وعيسى على حاله ما حلَّ حبوته، فلمّا رأه الأمير مال إليه، فلمّا حاذاه، قال:

السلام عليك يا قاضي، فردَّ عليه.

ثم نزل فقدَّم عيسى للصلاة عليها، وبعث الأمير به إلى تونس، فرغب بعض أهلها في نزوله عنده، فأنزله في دار حسنة، فقصد إلى بيت مسودٍّ من الدخان، بابه تحت درج، فنزل فيه، فسئل عن ذلك، فقال:

يأتيني رجال السلطان فيُطيلون الجلوس إذا أصابوا مكانًا حسنًا، وها هنا من أتى منهم، سلَّم وانصرف، وعوفيتُ منهم»[1].

*** «أي رجل كان لو لم يُفسدوه؟»:**

جاء في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٢/ ٤٦٥ ـ ٤٦٦) في ترجمة الإمام الفقيه القاضي شريك بن عبداللَّه النخعي أبو عبداللَّه الكوفي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«قال يحيى بن اليمان: لمّا ولي شريك القضاء أُكره على ذلك وأُقعد معه جماعة من الشرطة يحفظونه، ثم طاب للشيخ فقعد من نفسه، فبلغ

(١) «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (٣/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

سفيان الثوري أنَّه قعد من نفسه فجاء فتراءى له، فلمّا رأى الثوري قام إليه فعظَّمه وأكرمَه، ثم قال: يا أبا عبداللَّه، هل من حاجة؟

قال: نعم، مسألة، قال: أو ليس عندك من العلم ما يجزئك؟

قال: أحببتُ أُذكِّرك بها. قال: قل.

قال: ما تقول في امرأة جاءت فجلست على باب رجل فاحتملها ففجر بها، لمن تحدُّ منهما؟ فقال: الرجل دونها لأنها مغصوبة.

قال: فإنه لمّا كان من الغد جاءت فتزيَّنت، وتبخَّرت وجلست على ذلك الباب، ففتح الرجل فرآها، فاحتملها ففجر بها، وقد علمت الخبر بالأمس.

قال: أنت كان عذرك حين كان الشرط يحفظونك، اليوم أيُّ عذر لك؟

قال: يا أبا عبداللَّه، أُكلِّمك.

قال: ما كان اللَّه ليراني أُكلمك أو تتوب؟ قال: ووثب فلم يُكلِّمه حتى مات.

وكان إذا ذكره قال: أيُّ رجلٍ كان لو لم يُفسدوه؟».

* «إن قُرْبهم مفسدةٌ للقلب»:

جاء في كتاب «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي ـ رحمهما اللَّه تعالى ـ (١/ ٨١) ما نصه:

«قال يوسف بن أسباط: كان سفيان الثوري إذا كتب إلى رجل، كتب:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم:

من سفيان بن سعيد إلى فلان بن فلان، سلام عليك فإنِّي أحمدُ إليكَ اللَّه الذي لا إله إلا هو، وهو للحمد أهلٌ تبارك وتعالى، له الملك وله الحمد، وهو على كلِّ شيء قدير، أما بعد:

فإنِّي أوصيكَ ونفسي بتقوى اللَّه العظيم، فإنَّه من يتَّقِ اللَّه يجعل له مخرجًا، ويرزقُه من حيث لا يحتسب، جعلنا اللَّه وإيَّاك من المُتَّقين، وإن دعاكَ هؤلاء الملوك لتقرأ عليهم ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الصمد: ١] فلا تُجبهم، فإن قُربَهم مفسدةٌ للقلب».

* **أبو حسان الزيادي القاضي يقول لزنديق: «قتلك الحق»:**

«عن أبي الحسين عمر بن الحسن، قال: حدَّثنا ابن أبي الدنيا قال: كنتُ في الجسر واقفًا، وقد حضر أبو حسان الزيادي القاضي، وقد وجَّه إليه المتوكِّلُ من سرّ من رأى، بسياط جدد في منديل دبيقي، مختومة وأمره أن يضرب عيسى بن جعفر بن محمد بن عاصم - وقيل: أحمد بن محمد بن عاصم - صاحب خان عاصم، ألف سوط؛ لأنه شهد عليه الثقات، وأهل الستر، أنه شتم أبا بكر وعمر، وقذف عائشة، فلم يُنكر ذلك، ولم يَتبْ منه، وكانت السياط بثمارها.

فجعل يُضرب بحضرة القاضي، وأصحاب الشرطة قيام.

فقال: أيها القاضي قتلتني.

فقال له أبو حسان: قتلكَ الحقُّ، لقذفكَ زوجة الرسول، ولشتمكَ الخلفاء الراشدين المهديين.

قال طلحة: وقيل: لمَّا ضُربَ تُركَ في الشمس حتى مات، ثم رُمي به في دجلة»[1].

* **«حتى أفرغ من أمر الخصوم»:**

«عن أبي هشام الرفاعي: أن حفص بن غياث كان جالسًا في الشرقيَّة

---

(١) «مختصر نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة» للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي (١/ ١٤١).

للقضاء، فأرسل إليه الخليفة يدعوه.

فقال له: حتى أفرغَ من أمر الخصوم، إذ كنت أجيرًا لهم، وأصير إلى أمير المؤمنين.

ولم يقم حتى تفرَّق الخصوم»[1].

* «ما أصنعُ بدنانيرك؟»:

«قال محمد بن عبدالوهاب الفرّاء، قال: سمعتُ الحسين بن منصور يقول:

بعث معن بن زائدة إلى سفيان ـ الثوري ـ بثلاثمائة دينار.

قال: فقال للرسول: ثم إلى ذلك الطاق، انظر عليه.

قال: فوجد أربعة دوانيق، قال: هذه عندي منذ ثلاثة أشهر لا أدري ما أصنع بها، فما أصنع بدنانيرك؟»[2].

* «دعني أعيش باقيه حرًّا سليمًا من الذُّلِّ»:

جاء في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٤/ ١٤٢ ـ ١٤٣) في ترجمة الإمام أبي السعادات المبارك بن أبي الحرم محمد بن محمد بن عبدالكريم الشيباني المعروف بابن الأثير الجزري، الملقَّب مجد الدين ـ رحمه اللَّه تعالى، ما نصه:

«حكى أخوه عز الدين أبو الحسن علي أنه لما أُقعِدَ جاءهم رجل مغربيٌّ، والتزمَ أن يُداويه ويُبرئه ممّا هو فيه، وأنه لا يأخذ أجرًا إلاَّ بعد بُرئه، فملنا إلى قوله، وأخذ في معالجته بدُهن صنعه، فظهرت ثمرة صنعته ولانت رجلاه، وصار يتمكَّن من مدِّهما، وأشرف على كمال البرئ فقال لي:

---

(١) «تاريخ بغداد» (٨/ ١٩٠).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» (١/ ٣٦٢).

أعطِ هذا المغربيَّ شيئًا يُرضيه واصرفه.

فقلت له: لماذا وقد ظهر نجح معاناته؟

فقال: الأمر كما تقول، ولكنّي في راحة ممّا كنتُ فيه من صحبة هؤلاء القوم والالتزام بأخطارهم، وقد سكنت روحي إلى الانقطاع والدِّعة وقد كنتُ بالأمس وأنا معافى أذلُّ نفسي بالسَّعي إليهم، وها أنا اليوم قاعد في منزلي، فإذا طرأت لهم أمور ضرورية جاءوني بأنفسهم لأخذ رأيي، وبين هذا وذاك كثير، ولم يكن سبب هذا إلا هذا المرض، فما أرى زواله ولا معالجته، ولم يبق من العمر إلاَّ القليل، فدعني أعيش باقيه حُرًّا سليمًا من الذُّلِّ، وقد أخذتُ منه بأوفر حظٍّ.

قال عز الدين: فقبلتُ قوله، وصرفتُ الرجل بإحسان».

* **«أنت بدأت بالمسألة، ولو سكتَّ لسكتُّ»:**

جاء في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٧/ ٢٥١) ما نصه:

«قيل إن موسى بن عبدالرحمن بن القاسم الزاهد اختصَّ به القاضي بكّار، وكان يتبرَّك به لزهده.

فقال له يومًا: يا أبا هارون، من أين المعيشة؟

قال: من وقف وقفه أبي.

فقال له بكّار: أيكفيك؟ قال: قد تكفَّيتُ به، وقد سألني القاضي فأريد أن أسأله، قال: سل.

قال: هل ركب القاضي دينٌ بالبصرة حتى تولَّى بسببه القضاء؟

قال: لا.

قال: فهل رُوقَ مولوداً أحوجه إلى ذلك؟

قال: لا، ما نكحتُ قطُّ.

قال: فهل لك عيالٌ كثيرة؟

قال: لا.

قال: فهل أجبركَ السلطان وعرض عليك العذاب وخوَّفكَ؟

قال: لا.

قال: فضربتَ آباطَ الإبل من البصرة إلى مصر لغير حاجة ولا ضرورة، للَّه عليَّ لا دخلتُ عليك أبدًا.

فقال: يا أبا هارون أقلني.

قال: أنت بدأت بالمسألة، ولو سكتَّ لسكتُّ.

ثم انصرف عنه ولم يعد إليه بعدها».

* **«السعي للعفو عَمّن سيق للقتل»:**

«عن عمر بن حبيب العدوي القاضي، قال:

وفدتُ مع وفد من أهل البصرة، حتى دخلنا على أمير المؤمنين المأمون فجلسنا، وكنتُ أصغرهم سنًّا.

فطلب قاضيًا يولي علينا بالبصرة، فبينا نحن كذلك، إذ جيء برجل مقيَّد بالحديد، مغلولة يده إلى عنقه، فحُلَّت يدُه عن عُنقه، ثم جيء بنطع[1] فوُضع في وسطه، ومُدَّت عُنقُه، وقام السيَّافُ شاهر السيف، واستأذن أمير المؤمنين في ضرب عُنقه، فأذنَ له، فرأيتُ أمرًا فظيعًا.

فقلت في نفسي: واللَّه لأتكلَّمنَّ، فلعلَّه ينجو.

فقلت: يا أمير المؤمنين اسمع مقالتي.

فقال لي: قل.

(١) النطع: بساط يُفرش تحت المحكوم عليه بقطع الرأس.

فقلت: إن أباكَ حدَّثني عن جدِّكَ عن ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ أنه قال:

«إذا كان يوم القيامة، يُنادي منادٍ من بُطنان[1] العرش: ليقم من عظَّم اللَّه أجره، فلا يقومُ إلاَّ من عفا عن ذنب أخيه، فاعفُ عنه يا أمير المؤمنين، عفا اللَّه عنك».

فقال لي: آللَّه، إن أبي حدَّثكَ عن جدِّي عن ابن عباس عن رسول اللَّه ﷺ؟

فقلت: آللَّه، إن أباكَ حدَّثني عن جدِّكَ، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

فقال: صدقت، إن أبي حدَّثني عن جدِّي، عن ابن عباس، عن رسول اللَّه ﷺ بهذا، يا غلام، أطلق سبيله.

فأطلق سبيله، وأمر أن أولَّى القضاء»[2].

* «ما أسعد من لا يرانا ولا نراه»:

جاء في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٥/ ٢٠١) في ترجمة غياث الدين السلجوقي ـ رحمه اللَّه تعالى، ما نصه:

«أن أتابك زنكي صاحب الموصل أرسل إليه القاضي كمال الدين محمد ابن عبداللَّه بن القاسم الشهرذوري في رسالة، فوصل إليه وأقام معه في العسكر، فوقف يومًا على خيمة الوزير حتى قارب أذان المغرب، فعاد إلى خيمته وأذَّن المغرب وهو في الطريق، فرأى إنسانًا فقيهًا في خيمة، فنزل إليه فصلَّى معه.

فسأله كمال الدين: من أين هو؟ فقال: أنا قاضي مدينة كذا.

---

(١) بطنان: جوف كل شيء.

(٢) «تاريخ بغداد» (١١/ ١٩٨).

فقال له كمال الدين: القضاة ثلاثة: قاضيان في النار، وهو أنا وأنت، وقاضٍ في الجنة وهو من لا يعرفُ أبواب هؤلاء الظَّلَمة ولا يراهم.

فلمّا كان من الغد أرسل السلطان وأحضر كمال الدين، فلمّا دخل عليه ورآه يضحك قال:

القضاة ثلاثة، فقال كمال الدين: نعم يا مولانا.

فقال: واللَّه صدقت، ما أسعد من لا يرانا ولا نراه.

ثم أمر به فقُضيت حاجتُه، وأعادَه من يومه».

*** الإمام الفقيه أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم التجيبي: «لن يزال البلد بخير ما كان فيه مثل هذا الشيخ»:**

جاء في كتاب «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٤/ ٤٢٥ ـ ٤٢٦) في ترجمة الإمام الفقيه إسحاق بن إبراهيم بن مسرة أبو إبراهيم التجيبي ـ رحمه اللَّه تعالى، ما نصه:

«لمّا أُخذت الشَّهادات على أبي الخير المسمى بأبي الشرِّ الزنديق، أفتى أبو بكر بن السليم والحجازي في جماعة، بالأعذار له فيمن شهد عليه، وأفتى أبو إبراهيم وابن المشاط والقاضي منذر بطرح الأعذار في جماعة. وكان أشدُّهم في ذلك إسحاق بن السليم، والد أبي بكر، وخالف ابنه في ذلك، فأمر الحكم بالأخذ برأي أبي إبراهيم وأصحابه، وأمر بقتله دون أعذار.

فكتبَ إليه أبو إبراهيم كتابًا يشكره فيه على حياطة الدين، ويعتذرُ عن تخلُّفه عنه لبرد اليوم، وتوالي المطر.

فأجابه الحكم بجواب منه:

وجزاك اللَّه عن الدين والحياطة للإسلام خيرًا، فلقد وقع رأيكَ مني أفضل موقع، وقد أحسنت في توقُّفكَ والأخذ بالقدر، الذي عاقك بما أحبَّ، إلى ما أحاطكَ اللَّه به، وأصلح من حالك، ولقد قلت لمن حضر في

يوم السبت إثر خروجك:

لن يزال هذا البلد بخير ما كان فيه مثل هذا الشيخ، أكثر اللَّه فيه مثله، اعترافًا للَّه بالنعمة فيك، وهذه بصيرتي فيك، فاعلمه».

*** عبداللَّه بن محيريز القرشي الجمحي:**

«قال رجاء بن أبي سلمة عن خالد بن دُريك:

كانت من ابن محيريز خصلتان ما كانتا في أحدٍ ممَّن أدركتُ من هذه الأُمَّة: كان في أبعد الناس أن يسكتَ عن حقٍّ بعد أن يتبيَّن له، يتكلَّمُ فيه، غَضِبَ في اللَّه مَنْ غَضِب، ورَضِيَ فيه مَنْ رَضِي.

وكان من أحرصِ الناس أن يكتمَ من نفسه، أحسنَ ما عنده»[1].

*** القاضي عبيداللَّه بن الحسن العنبري والمهدي: «اذهب الآن فقد طوَّقْتُكَ طوقًا لا يفكُّه عنكَ خمسونَ قينًا»:**

جاء في كتاب «الثقات» للعجلي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (الورقة ٣٥) في ترجمة القاضي الإمام المُحدِّث الفقيه عبيداللَّه بن الحسن العنبري البصري ـ رحمه اللَّه تعالى، ما نصه:

«قال عبداللَّه بن صالح العجلي: كتبَ المهديُّ إلى عبيداللَّه بن الحسن قاضي البصرة يأمرُهُ أن انظر إلى الأرض التي يخاصمُ فيها فلان التاجر فلانًا القائد فاقض بها للقائد.

قال: اجمع لي شهودًا، فجمع جماعةً فكتبَ عليه حُكمًا للتاجر، ثم قال:

اذهب الآن، فقد طوَّقتُكَ طَوقًا لا يفكُّه عنكَ خمسون قينًا.

قال: فعزله المهدي».

---

(١) «تهذيب الكمال» (١٦/١٠٩ ـ ١١٠).

❑ ولله در القائل:

حدِّث عن القوم فالألفاظ ساجدة عند الحكايات والأوزان تبتهلُ

وعلى درب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سار خلف الأمة

* سليمان الحلبي البطل الشاب قاتل كليبر الفرنسي الذي أرهق المصريين عسفًا وجورًا:

البطل سليمان بن أمين ونّس الشهير بالحلبي قاتل الطاغية كليبر.. الضابط الفرنسي الذي كان برفقة نابليون حين احتل مصر عام ١٧٩٩م، ولما غادر نابليون مصر عيّنه حاكمًا عليها، فأرهق أهلها عسفًا وجورًا، وفعل الفرنسيون الأفاعيل بالمصريين فكانوا كما قال الجبرتي «فينزلون على البلاد والقرى ويطلبون المال والكلف الشاقة بالعسف والجور ويؤجلونهم بالساعات؛ فإن مضت ولم يوفوهم المطلوب حلّ بهم ما حلّ من الحرق والنهب والسلب والسبي، وخصوصًا إذا فرّ مشايخ البلدة من خوفهم وعدم قدرتهم، وإلا قبضوا عليهم وضربوهم بالمقارع والكسارات على مفاصلهم وركُبهم، وسحبوهم معهم في الحبال، وأذاقوهم أنواع النكال».

«ثم دخلوا إلى الجامع الأزهر وهم راكبون الخيول، وبينهم المشاة كالوعول وتفرّقوا بصحنه ومقصورته، وربطوا خيولهم بقبلته، وعاثوا بالأروقة والحارات، وكسروا القناديل والسهارات، وهشموا خزائن الطلبة والمجاورين والكتبة، ونهبوا ما وجدوا من المتاع، والأواني والقصاع والودائع والمخبآت بالدواليب والخزانات، ودشتوا[1] الكتب والمصاحف، وعلى الأرض طرحوها، وبأرجلهم ونعالهم داسوها، وتغوّطوا وبالوا وتمخطوا وشربوا الشراب وكسروا أوانيه، وألقوها بصحنه ونواحيه وكل من صادفوه عرّوه ومن

(١) بعثروا.

ثيابه أخرجوه»[١] .

ولم يغمض لسليمان الحلبي جفن وهو الذي تلقى علومه بالأزهر، فكيف يعبث الفرنسيون فيه فسادًا، ويدوسون المصاحف بنعالهم ويعرُّون الشيوخ من ثيابهم.

إذا أَلَمَّتْ بوادي النيل نازلةٌ باتت لها راسيات الشام تضطربُ

وصمم الحلبي على قتل كليبر وسافر من حلب إلى القاهرة فدخلها في مساء اليوم الرابع عشر من مايو سنة ١٨٠٠، وولى وجهه ناحية منزل أستاذه «مصطفى أفندي» فقضى ليلته عنده، ثم فارقه إلى الأزهر للإقامة في رواق الشام، وهناك قضى ثلاثين يومًا منزويًا لا يخرج منه إلا للبحث والتقصي ومعاينة الطرق التي يسلكها لقضاء مأربه.

وفي مساء ١٣ من يونيه أسرّ سليمان لأربعة من زملائه في العلم بما انتواه[٢] ، فحاولوا تخويفه ولكن سليمان كان من هؤلاء الذين لا يخافون ولا ينكصون؛ فإذا هو يغادر جمعهم، ويعبر النيل على هيئة سائل ويتجه إلى الروضة حيث كان كليبر يستعرض كتيبة الأروام التي انخرطت في سلك الجيش الفرنسي بقيادة نيقولا بابا زوغلو فسأل سليمان النوتية عن تحركات كليبر، فعلم منهم أنه يقضي بعض الوقت في مساء كل يوم بحديقة القيادة ترويحًا عن نفسه، فعزم سليمان على الدخول إلى الحديقة والتربص به، ولما أراد أن يدخل الحديقة اكتشف الحراس أمره فادّعى لهم أنه يريد تقديم عريضة إلى الجنرال، فأخذوه إلى بيروس سكرتير كليبر فرفض أن يقدمه إليه.

وبات تلك الليلة في المسجد، وفي الصباح اتّجه إلى الأزبكية، وتتبع خطوات غريمه، وسار خلفه إلى الروضة، ثم عاد وراءه واتجه إلى الحديقة،

(١) تاريخ الجبرتي، أحداث ١٢١٣هـ.

(٢) هم محمد الغزي، وأحمد والي، وعبدالله الغزي، وعبدالقادر الغزي.

واندس بين الخدم، ورآه الضابط ديفوج ـ ياور كليبر ـ فاعتقد أنه من العمال الذين يقومون بأعمال الترميم في مبنى القيادة، فلم يَرْتب في أمره، ولما رآه يتعقَّب كليبر، وهو داخل منزل الجنرال داماس، شك في أمره، وأمر الخدم بطرده، ولكن سليمان استطاع أن يغافل الحرس ويدخل الحديقة.

وهناك انزوى خلف الساقية، وقبيل العصر دخل كليبر الحديقة بصحبة المهندس بروتان، وفي أثناء عبور كليبر ممر الحديقة من تحت تكعيبة العنب فوجئ بالفتى الحلبي يخرج من مكمنه، ويتقدم إليه كمن يريد أن يستجديه، وما كاد يلتفت إليه حتى رفع سليمان خنجره وهوى به على صدره، ثم تبع سليمان طعنته بثلاث أخريات أسلم بعدها كليبر الروح، واتجه سليمان إلى بروتان، الذي حاول القبض عليه، فأصابه بست طعنات كانت أخف وطأة من طعنات كليبر، فرقد بجواره يئن من الجراح[1].

*** محاكمة سليمان الحلبي وإعدامه:**

وعُثر على سليمان بعد مضي ساعة وراء جدار مهدوم بالحديقة، وحاول أن يتخلّص من مطارديه، ولكنه لم يفلح، وقادوه إلى حيث ضباط القيادة يحرقون الأرم غيظًا، فمثل أمامهم، وسأله الجنرال مينو وواجه بالجنرال بروتان فتعرّف عليه، وشهد الشهود من رجال البحر بأن سليمان كان يتتبع خطوات كليبر في الروضة ويسأل عنه، وفي صباح ١٥ من يونيه مثل سليمان أمام محكمة عسكرية مؤلفة من تسعة أعضاء برئاسة الجنرال رينيه، وبعد استجواب عنيف، وتعذيب قاسٍ على يد «برتلمي الرومي» ـ أحد أذناب الفرنسيين ـ اعترف سليمان.

أورد الجبرتي نقلاً عن ملفات المحكمة الفرنسية من أقوال الشيخ محمد الغزي:

(١) من كتاب «الشهيد محمد كريم» للأستاذ عبدالعزيز حافظ دنيا.

«سُئِل هل سليمان أخبره على ضميره في قتل ساري عسكر؟

فجاوب: إن سليمان كان قد قال له: إنه قد حضر من غزة لأجل أن يغازي في سبيل اللّه لقتل الفرنساوية..».

وها هو المقرر «سارلتون» الذي أشرف على تعذيبه يقول عنه: «وهو بالذات مقرٌ بذنبه بلسانه، ومسمّي شركاه، وهو مادح نفسه للقتل الكريه صنيع يديه، وهو مستريح بجواباته، وينظر محاضر سياسات عذابه بعين رفيعة، والرفعة هي الثمر المحصول من العصمة والنقاوة، فكيف تطهر بوجوه الآثمين»[١].

وحُكم على سليمان بحرق يده اليمنى، وإعدامه على الخازوق، وترك جثته تأكلها الطير، كما حُكم على من أسرَّ إليهم بنيّته بقطع الرقاب وإحراق جثثهم.

وعقب تشييع جنازة الجنرال كليبر في يوم ١٧ من يونية، ودفن جثته في قبر أعدوه له مؤقتًا في حديقة العيني، قادوا المحكوم عليهم إلى «تل العقارب» بحي السيدة زينب، وهناك نُفّذ الحكم في سليمان وإخوانه، وصعدت أرواحهم إلى بارئها.

ومما يجدر ذكره أن دائرة المعارف الماسونية أبدت أسفها العميق لمقتل كليبر الذي أنشأ الماسونية في مصر، ورأس أول محفل فيها دعاه محفل «إزيس» لكن الأجل لم يمهله ليكمل رسالة الماسونية[٢]، وإن شئت قل إن سليمان الحلبي لم يمهله لتكمل رسالة الماسونية»[٣].

لقد كان للدولة العثمانية يد بيضاء في مساعدة الحلبي وتوجيهه لقتل

(١) تاريخ الجبرتي.. هكذا يقولون عن المجاهدين أنهم آثمون.

(٢) «الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام» لعبداللّه التل.

(٣) سليمان الحلبي الشهيد البطل تأليف خالد الجر ص(١٥) ـ دار القلم، دمشق.

كليبر، وهذا لا ينقص قدر الحلبي البطل الذي لقي ربه وهو ابن أربع وعشرين عامًا. والحق أن سليمان الحلبي هذا جاهد خير جهاد في سبيل اللَّه، وبذل روحه في سبيل الإسلام، فنال الشهادة، وذهب له بعيدُ صيت في الآفاق»[١].

واحتفظ الفرنسيس بالهيكل العظمي من جسم سليمان، فوضعوه في متحف حديقة الحيوانات والنباتات في باريس، كما حفظوا جمجمته في غرفة التشريح بمدرسة الطب بباريس، ومازال الخنجر الذي طُعن به كليبر محفوظًا في مدينة كاركاسون بفرنسا[٢].

هذه صفحات نهديها لمن زوروا التاريخ واحتفلوا بذكرى الحملة الفرنسية، وأعجب لهذا، ومن أراد المزيد فلينظر إلى كتاب «الحملة الفرنسية تزوير أم تنوير» للدكتورة ليلى عنان... ومنه تعرف قدر الجرم الذي يرتكبه الذين تنكّروا لإسلامهم ولدولتهم قبل أن يتنكروا للعرب، وكانوا خدمًا للغرب الصليبي الذي يتربص بالأمة الإسلامية الدوائر.

* * *

(١) «ضيانامة» للمؤرخ العثماني عزت أفندي الدارندلي ص(٣٠٦)، ترجمه جمال سعيد عبدالغني ـ نشر الهيئة العامة للكتاب بمصر عام ١٩٩٩م.

(٢) «الأعلام» للزركلي (٣/ ١٣٣).

*** كان الحق آثر عندي من غيره:**

جاء في «ترتيب المدارك» (٢/٥٧٦)، و«سير أعلام النبلاء» (١٢/٥٦ ـ ٥٧) في ترجمة الإمام الفقيه أبو عمرو الحارث بن مسكين بن محمد بن يوسف المالكي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«قال الكندي: كان كلما حضر قال له المأمون: يا ساعي، يرددها عليه.

فقال له: لست بساعي، وإن أذن أمير المؤمنين في الكلام تكلمت.

قال: تكلم.

قال: واللَّه يا أمير المؤمنين ما أنا بساعي، ولكني أحضرت، فسمعت وأطعت حين دعيت، ثم سئلت عن أمر فاستعفيت، فلم أعف ثلاثًا، فلما رأيت أنه لا بد لي من الكلام، كان الحق آثر عندي من غيره.

قال المأمون: هذا رجل أراد أن يرفع له علم في بلده، خذه إليك.

ثم حمله إلى العراق، وخرجت إليه امرأته، وحمل ابنه إبراهيم إلى الثغور».

*** الإمام الرباني طاووس بن كَيْسان لا يقبل من أُعطيات الأمراء شيئًا، للَّه درُّه:**

«عن النعمان بن الزبير الصنعاني قال: أن محمد بن يوسف أبو أيوب ابن يحيى، بعث إلى طاوس بسبع مئة دينار، أو خمس مئة، وقيل للرسول: إن أخذها منك، فإن الأمير سيكسوك، ويُحسن إليك.

قال: فخرج بها حتى قدم على طاووس الجَنَد، فقال: يا أبا عبدالرحمن، نفقة بعث بها الأمير إليك.

قال: ما لي بها حاجة، فأراده على أخذها فأبى، فغفل طاووس فرمى بها في كُوة البيت، ثم ذهب.

فقال لهم: قد أخذها، فلبثوا حينًا، ثم بلغهم عن طاووس شيء يكرهونه.

فقال: ابعثوا إليه فليبعث إلينا بمالنا.

فجاءه الرسول فقال: المال الذي بعث به إليك الأمير.

قال: ما قبضت منه شيئًا.

فرجع الرسول، فأخبرهم، فعرفوا أنه صادق.

فقيل: انظروا الذي ذهب بها، فابعثوا إليه.

فقال: المال الذي جئتك به يا أبا عبدالرحمن.

قال: هل قبضت منك شيئًا؟

قال: لا.

قال: فقيل له: هل تدري أين وضعته؟

قال: نعم في تلك الكوة.

قال: فانظر حيث وضعته.

قال: فمد يده، فإذا هو بالصُّرة قد بَنَت عليها العنكبوت.

قال: فأخذها فذهب بها إليهم»[1].

*** انظر أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار؟:**

جاء في «المصباح المضيء» (٢/ ١٧٣) ما نصه:

وعظ ابن السماك أمير المؤمنين هارون الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين إن لك بين يدي اللَّه مقامًا، وإن لك من مقامك منصرفًا، فانظر إلى أين منصرفك إلى الجنة أم إلى النار؟

---

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (١٣/ ٣٧٠ ـ ٣٧١).

فبكى هارون حتى كاد أن يموت».

*** لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود:**

جاء في «مفتاح السعادة» لابن القيم (١/ ١٦٥) ما نصه:

«قال إبراهيم الحربي: كان عطاء بن أبي رباح عبدًا أسود لامرأة من مكة، قال: وجاء سليمان بن عبدالملك ـ أمير المؤمنين ـ إلى عطاء هو وابناه، فجلسوا إليه وهو يصلي، فلما صلى انفتل إليهم، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج، وقد حول قفاه إليهم! ثم قال سليمان لابنيه: قوما، فقاما.

فقال: يا بني، لا تنيا في طلب العلم، فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود».

*** أتدري ما الذي يجرؤك علينا، ويجنبنا عنك؟:**

جاء في كتاب «تنبيه الغافلين» للنحاس ص(٤٩) ما نصه:

«دخل مالك بن دينار ـ رحمه اللَّه ـ على أمير البصرة فقال له:

قرأت في بعض الكتب: من أحمق من السلطان، ومن أجهل ممن عصاني، ومن أعز ممن اعتز بي.

أيها الراعي السوء، دفعت إليك غنمًا صحاحًا، فأكلت اللحم ولبست الصوف، وتركتها عظامًا تقعقع.

فقال الأمير: أتدري ما الذي يجرؤك علينا ويجنبنا عنك؟

قال: لا.

قال: قلة الطمع إلينا، وترك الإمساك عما في أيدينا».

*** من وثق بثواب اللَّه لم يضره مس الأذى:**

جاء في «مجمع الزوائد» و«منبع الفوائد» للحافظ نور الدين الهيثمي (٧/ ٢٦٦) وقال: رواه الطبراني في «الأوسط» ورجاله ثقات ما نصه:

«عن أبي جعفر الخطمي أن جده عمير بن حبيب بن حماشة ـ وكان قد أدرك النبي ﷺ عند احتلامه ـ أوصى ولده فقال:

يا بني! إياك ومجالسة السفهاء، فإن مجالستهم داء، ومن يحلم عن السفيه يُسر، ومن يحبه يندم، ومن لا يرضى بالقليل مما يأتي به السفيه، يرضى بالكثير، وإذا أراد أحدكم أن يأمر بالمعروف أو ينهى عن المنكر فليوطن نفسه على الصبر على الأذى، ويثق بالثواب من اللَّه تعالى، فإنه من وثق بالثواب من اللَّه عز وجل لم يضره مس الأذى».

*** إن قبلها فأنتما حُرَّان:**

جاء في «تاريخ بغداد» (٨/ ٣٤٩)، و«تهذيب الكمال» (٨/ ٤٥٨ ـ ٤٥٩) في ترجمة الإمام الرباني القدوة، داود بن نُصَير الطائي، أبو سُليمان الكوفي الفقيه الزاهد ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«حدثنا محمد بن حَسَّان، قال:

قال لي عمي: قدم محمد بن قحطبة الكوفة، فقال: أحتاج إلى مُؤدب يؤدِّب أولادي، حافظ لكتاب اللَّه، عالم بسنة رسول اللَّه ﷺ والأثر وبالفقه والنحو والشعر وأيام الناس.

فقيل: ما يجمع هذه الأشياء إلا داود الطائي، وكان محمد بن قحطبة ابن عم داود، فأرسل إليه يعرض ذلك عليه ويُسني له الأرزاق والفائدة، فأبى داود ذلك، فأرسل إليه بَدْرَةً: عشرة آلاف درهم.

وقال: استعن بها على دهرك، فردها، فوجه إليه بَدْرَتَيْنِ مع غلامين له مملوكين، وقال لهما:

إن قبل البَدْرَتين فأنتما حُرَّان.

فمضيا بهما إليه فأبى أن يقبلهما، فقالا له:

إن في قبولهما عتق رقابنا.

فقال لهما: إني أخاف أن يكون في قبولهما وَهَق[1] رقبتي في النار، رداها إليه، وقولا له أن يردهما على من أخذهما منه أولى من أن يعطيني أنا».

*** الإمام الفقيه أبو وهب عبدالأعلى بن وهب القرطبي وهاشم بن عبدالعزيز الوزير: «إن كنت تطلب العلم للّه فأعزه يعزك اللّه»:**

جاء في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض ـ رحمه اللّه ـ (٣/ ١٤٠) في ترجمة الإمام الفقيه أبو وهب عبدالأعلى بن وهب القرطبي ـ رحمه اللّه تعالى ـ ما نصه:

«قال ابن لبابة: كنت يومًا عند ابن وهب، في جنته بقرب مقبرة قريش، وكان يعتمرها بيده في نفر من الطلبة يسمع عليه، إذ أُحضر غداؤه، فقدمه إلينا فأكلنا معه.

إذ استأذن عليهم هاشم بن عبدالعزيز الوزير، فأذن له على تكره، ودخل، ونحن نأكل خبزًا أدمه من بقل الجنة. فجلس، وجعل يداعب الشيخ لظرفه، والشيخ لا ينبسط. ويقول: أبا وهب أما تدعونا لطعامك؟ تخاف أن نلتهمه؟

فقال له: ليس من الأطعمة التي توافقك.

قال: وإن لم تكن، فأنا أتبرك به.

ومد هاشم يده إلى لقمة من الخبز، فغمسها في البقل، وجعل يلوكها ولا يسيغها، فلمَّا فرغنا، سأل الشيخ عن مسألة فقه فأجابه الشيخ.

وقام هاشم لينصرف، فتحركت لأقوم معه، فضرب الشيخ على يدي، وأجلسني حتى خرج. ثم قال لي: ما أردت؟

---

(١) وهق: الحبل يُرمى في أنشوطة، فتؤخذ به الدابة والإنسان.

قلت: إكرامه، في مجلسك.

فقال: بئس ما صنعت، إن كنت تطلب العلم للَّه، فأعزه يعزك اللَّه، وإن كنت تطلبه للدنيا، فكن خادمًا من خدمة هؤلاء، فتصرف بين أيديهم، فهو أبقى لك عندهم، وأكسد لك عند ربك. فحافظت بعد ذلك على وصيته».

*** الخليل بن أحمد الفراهيدي: «مادُمتُ أجد الخبز فلا حاجة لي في سليمان»:**

«كان من الزهاد في الدنيا، والمنقطعين إلى العلم، ويُروَى عنه أنه قال: إن لم تكن هذه الطائفة ـ يعني أهل العلم ـ أولياء اللَّه فليس للَّه وليٌّ.

وقد كان وجه إليه سُلَيمان بن عَليّ من الأهواز، وكان واليها، يلتمس منه الشخوص إليه وتأديب أولاده ويرغِّبه ـ ويقول: إن الذي وجه إليه سليمان بن حبيب بن المهلب من أرض السِّنْد، يستدعيه إليه ـ وكان الخليل بالبصرة فأخرَجَ الخليلُ إلى رسول سُليمان خبزًا يابسًا، وقال: ما عندي غيره، وما دمت أجده فلا حاجة لي في سليمان، فقال الرسول: فما أبلغه عنك؟

فأنشأ يقول:

أبلغ سليمان أني عنه في سَعة ... وفي غِنى غيرَ أني لستُ ذا مالِ
شُحًا بنفسي أني لا أرى أحدًا ... يموت هُزْلاً ولا يبقى على حال
الرزق عن قدرٍ لا الضعف ينقصُهُ ... ولا يزيدكَ فيه حول محتال
والفقر في النفس لا في المال نعرفه ... ومثل ذاك الغني في النفس لا المال

فقطع عنه سليمان الراتب فقال الخليل:

إن الذي شَقَّ فمي ضامنٌ ... للرزق حتى يتوفاني
حرمتني خيرًا قليلاً فما ... زادك في مالك حرماني

فبلغت سليمان فأقامه وأقعدته، وكتب إلى الخليل يعتذر إليه، وأضعف راتبه، فقال الخليل:

وزلةٍ يُكثر الشيطانُ إن ذُكرت ... منها التعجُّب جاءت من سليمانا

لا تعجبنَّ لخير زلَّ عن يده ... فالكوكب النحس يسقي الأرض أحيانًا[1]

*** بايعت رسول الله ﷺ على النُّصح لكل مسلم:**

«عن إبراهيم بن جرير البجلي عن أبيه قال:

غدا أبو عبدالله ـ أي جرير ـ إلى الكناسة ليبتاع منها دابة، وغدا مولى له فوقف في ناحية السوق، فجعلت الدواب تمر عليه فمر به فرس فأعجبه، فقال لمولاه:

انطلق فاشتر ذلك الفرس، فانطلق مولاه، فأعطى صاحبه به ثلاثمائة درهم، فأبى صاحبه أن يبيعه، فماتخه، فأبى صاحبه أن يبيعه، فقال:

هل لك أن تنطلق إلى صاحب لنا ناحية السوق؟

قال: لا أبالي، فانطلقا إليه، فقال له مولاه: إني أعطيت هذا بفرسه ثلاثمائة درهم، فأبى، وذكر أنه خير من ذلك، قال صاحب الفرس: صدق، أصلحك الله، فترى ذلك ثمنًا.

قال: لا، فرسك خير من ذلك تبيعه بخمسمائة، حتى بلغ سبعمائة درهم أو ثمانمائة.

فلما ذهب الرجل أقبل على مولاه، فقال له:

ويحك انطلقت لتبتاع لي دابة، فأعجبتني دابة رجل، فأرسلتك تشتريها، فجئت برجل من المسلمين تقوده، وهو يقول ما ترى ما ترى؟

---

(١) «أخبار النحويين» ص(٣٨ ـ ٣٩)، و«تهذيب الكمال» (٨/ ٣٣٠)، و«وفيات الأعيان» (٢/ ٢٤٦).

وقد بايعت رسول اللَّه ﷺ على النصح لكل مسلم»[١].

* **للَّه درُّ صلة بن أشيم العدوي ورفقه في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: «هذا كان أمثل مما أردتم»:**

«مر فتى يجر ثوبه أصحاب صلة بن أشيم أن يأخذوه بألسنتهم أخذًا شديدًا.

فقال صلة: دعوني أكفكم أمره.

ثم قال: يا ابن أخي، إن لي إليك حاجة.

قال: ما هي؟

قال: أحب أن ترفع إزارك.

قال: نعم وقرة عين، فرفع إزاره.

فقال صلة لأصحابه: هذا كان أمثل مما أردتم، فإنكم لو شتمتموه وآذيتموه لشتمكم»[٢].

* **الشيخ أحمد بن المعدل وأمير المومنين المتوكل: «نزّهتك من عذاب اللَّه»:**

«عن أحمد بن علي البصري قال: وجه المتوكل إلى أحمد بن المعدل وغيره من العلماء، فجمعهم في داره، ثم خرج عليهم، فقام الناس كلهم له غير أحمد بن المعدل، فقال المتوكل لعبيداللَّه: إن هذا لا يرى بيعتنا.

فقال له: بلى يا أمير المؤمنين، ولكن في بصره سوءًا.

فقال أحمد بن المعدل: يا أمير المؤمنين ما في بصري سوء، ولكن نزهتك من عذاب اللَّه، قال النبي ﷺ: «**من أحب أن يتمثل له الرجال قيامًا**

---

(١) **سنده صحيح**: رواه الطبراني في «المعجم الكبير» برقم (٢٣٩٥)، و«المحلى» لابن حزم (٨/ ٤٤٠ ـ ٤٤١).

(٢) «مختصر منهاج القاصدين» لابن قدامة المقدسي ص(١٢٨).

قرة عين: أقر عينك بطاعتك.

فليتبوأ مقعده من النار».

فجاء المتوكل فجلس إلى جنبه»[١] .

* **التابعي الجليل الإمام عبدالرحمن بن أبي نعم البجلي الكوفي والحجاج: «سرْ حيث شئت»:**

«كان من عُبَّادِ أهل الكوفة، ممن يصبرُ على الجوع الدائم، ودَخَل على الحجَّاج أيام الجماجم فوعظه، فأخذه الحجَّاج ليقتله، وأدخله بيتًا مظلمًا، وسدَّ الباب عليه خمسة عشر يومًا! ثم أمر بالباب ففُتح ليخرج فيُدفن، فدخلوا عليه، فإذا هو قائمٌ يُصلِّي! فقال له الحجَّاج: سِر حيث شئت»[٢] .

* **سوار بن عبدالله وأبو جعفر المنصور: «خوفتك دعوة اليتيم والأرملة ومن لا حيلة له»:**

جاء في كتاب «أخبار القضاة» ص(٥٨)، ما نصه:

«همَّ أبو جعفر المنصور أن يسكِّر نهر ابن عمر في البصرة، فوفد إليه وفد من أهل البصرة فيه سوار بن عبدالله، وداود بن أبي هند، وسعيد بن أبي عمرويه فكلموه.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين، إن أردت أن تقتل مائة ألف من الناس عطشًا فسكِّره، يا أمير المؤمنين! إني أحذرك أهل البصرة.

فقال أبو جعفر: أتخوفني بأهل البصرة؟ لهممت أن أوجه إليهم بقائد يجثم على أكبادهم حتى يأتي على آخرهم.

قال: يا أمير المؤمنين! لم أذهب حيث ذهبت، ولكن خوفتك دعوة اليتيم والأرملة ومن لا حيلة له.

فرجع أبو جعفر وأضربَ عما كان عزم عليه».

---

(١) «تاريخ الخلفاء» للسيوطي ص(٣٥٢).

(٢) «تهذيب التهذيب» (٦/ ٨٦).

*** القاضي شريك وبعض ولد المهدي: «هكذا يُطلب العلم»:**

«عن حمدان بن الأصبهاني قال: كنت عند شَريك، فأتاه بعضُ ولَد المهدي، فاستند إلى الحائط، وسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، فأعادَ عليه، فلم يلتفت إليه.

فقال: كأنَّكَ تستخفُّ بأولاد الخلافة؟ قال: لا، ولكنَّ العِلْمَ أزْيَنُ عند أهله من أن يضيِّعوه.

قال: فجثا على ركبتيه ثم سأله.

فقال شريك: هكذا يُطلبُ العِلمُ»[1].

*** «قد حَسُنَ عندنا ظاهركَ، فحسَّن اللَّهُ باطنك»:**

جاء في كتاب «تاريخ قضاة الأندلس» لأبي الحسن بن عبداللَّه المالقي ص(٤٢) في ترجمة القاضي عنترة بن فلاح، ما نصه:

«استسقى القاضي عنترة بن فلاح في قرطبة يومًا، فأحسن في قيامه في الخطبة، وخشع الناس بوعظه وتذكيره، وحرَّكهم بدعائه وابتهاله، فلما فرغ قام إليه رجل من عامة الناس فقال له: أيها القاضي الواعظ، قد حَسُنَ عندنا ظاهرك، فحسَّن اللَّهُ باطنك.

فقال القاضي: اللَّهم آمين ولنا أجمعين، أضمرت يا ابن أخي شيئًا؟

فقال الرجل: نعم يا قاضي، بتفريغ أهرائك يتم فضل استسقائك.

فقال: لعمري لقد نصحتني، وإني أُشهد اللَّه أن جميع ما حواه ملكي من الطعام صدقة لوجه اللَّه الكريم.

ثم أقسم ألا يترك مقامه حتى يرسل إلى داره فيفرق جميع ما ادَّخره.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/١٩٨).

قال: فغيث الناس من يومهم غيثًا عامًّا».

* «إياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها»:

«عن المفضل بن فضالة، عن أبيه قال:

استأذن قوم على عبدالملك بن مروان أمير المؤمنين، وهو شديد المرض فدخلوا عليه فقال:

إنكم دخلتم عليَّ في حين إقبال آخرتي، وإدبار دُنياي، وإني تذكرت أرجى عمل لي فوجدته غزوة غزوتها في سبيل اللَّه، وأنا خلو من هذه الأشياء، فإياكم وأبوابنا هذه الخبيثة أن تطيفوا بها»[1].

* «متى يُفلحُ من كان يسرُّه ما يضرُّه؟»:

جاء في «سير أعلام النبلاء» للذهبي ـ رحمه اللَّه ـ (١١/ ٥٠٠) في تعليقة رائعة للإمام الذهبي على حديث «الدين النصيحة» ما نصه:

وقال: فتأمل هذه الكلمة الجامعة، وهي قوله: «الدِّينُ النصيحةُ»، فمن لم ينصح للَّه وللأئمة والعامَّة، كان ناقصَ الدين، وأنت لو دُعيتَ: يا ناقص الدين، لغضبت! فقل لي: متى نصحت لهؤلاء؟ كلا واللَّه، بل ليتك تسكت، ولا تنطق، أو لا تُحسِّن لإمامك الباطل، وتجرئه على الظلم وتغشه، فمن أجل ذلك سقطت من عينه، ومن أعين المؤمنين، فباللَّه قل لي:

متى يُفلحُ مَن كان يسرُّه ما يضرُّه؟ ومتى يُفلح من لم يراقب مولاه؟ ومتى يُفلح من دنا رحيله، وانقرض جيلُه، وساء فعله وقيله، فما شاء اللَّه كان، وما نرجو صلاح أهل الزمان، ولكن لا ندع الدعاء، لعل اللَّه أن يلطف، وأن يصلحنا، آمين».

---

(١) «الكامل في التاريخ» لابن الأثير (٤/ ٥٢٠)، و«مشارق الأشواق» لابن النحاس (١/ ١٤٤).

* «إن الأطباء هم العلماء وهم مرضى»:

جاء في كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام الغزالي ـ رحمه اللَّه ـ (٣/ ٦٣) عبارات رائعة أورد نصها:

«إن القلوب كلها مريضة إلا ما شاء اللَّه، ومرض القلب مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه، وإن عرفه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه، فإن دواءه مخالفة الشهوات، وهو نزع الروح، فإن وجد من نفسه قوة الصبر عليه، لم يجد طبيبًا حاذقًا يعالجه، فإن الأطباء هم العلماء، وقد استولى عليهم المرض، فالطبيب المريض قلما يلتفت إلى علاجه، فلهذا صار الداء عضالاً، والمرض مزمنًا، واندرس هذا العلم، وأُنكر طب القلوب، وأُنكر مرضها...».

* «ولو أن أهل العلم صانوه صانهم»:

جاء في كتاب «البداية والنهاية» لابن كثير ـ رحمه اللَّه ـ (١١/ ٣٥٤) في ترجمة القاضي الفقيه الشاعر علي بن عبدالعزيز الجرجاني المتوفى سنة ٣٩٢هـ أبياتٌ شعرية رائعة للقاضي الجرجاني ـ رحمه اللَّه ـ ما نصه:

يقولون لي فيكَ انقباضٌ وإنَّما ... رأوا رجلاً عن موقفِ الذُّلِّ أحجما
أرى الناسَ مَنْ داناهُم هانَ عندهم ... ومن أكرمتهُ عزة النفس أُكرما
ولم أقض حقَّ العلم إن كان كلما ... بدا طمعٌ صيرتهُ لي سلمًا
إذا قيل هذا مطمعٌ قُلتُ قد أرى ... ولكنَّ نفسَ الحُرِّ تحتملُ الظَّما
ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلم مهجتي ... لأخدمَ من لاقيتُ لكن لأُخدَما
أأشقى به غرسًا وأجنيه ذِلَّةً ... إذًا فاتِّباعُ الجهل قد كان أحزما
ولو أنَّ أهلَ العلمِ صانوه صانهم ... ولو عظَّموهُ في النفوسِ لعُظِّما
ولكن أهانوهُ، فهان، ودَنَّسوا ... مُحيَّاهُ بالأطماعِ حتى تجهَّما

* **الأعمش والعباس بن موسى أمير الكوفة: «أبلغك أنَّا نبيع العلم؟»:**

«عن حفص بن غياث قال: بعث العباس بن موسى أمير الكوفة إلى الأعمش بألف درهم وصحيفة، فقال:

اكتب لي فيها من حديثك.

فأخذ الألف درهم، وكتب له فاتحة الكتاب، فبعث بها إليه.

فبعث إليه: أبلغك أنَّا لا نُحسِنُ القرآن؟!

فبعث إليه: أبلغكَ أنَّا نبيعُ العلم؟!»[1].

* **«غضب الأمير أهون من غضب اللَّه»:**

«دخل جامع المحاربي على الحجاج ـ وكان جامع شيخًا صالحًا خطيبًا لبيبًا جريئًا، وهو الذي قال للحجاج إذ بني مدينة واسط: بنيتها في غير بلدك، وتورثها غير ولدك ـ فجعل الحجاج يشكو له سوء طاعة أهل العراق وقبح مذهبهم، فقال جامع:

أما إنهم لو أحبُّوك لأطاعوك، على أنهم ما شنؤوك لنسبك ولا لبلدك، ولا لذات نفسك، فدع عنك ما يبعدهم منك إلى ما يقربهم إليك، والتمس العافية ممن دونك تعطها ممن فوقك، وليكن إيقاعك بعد وعيدك، ووعيدك بعد وعدك.

فقال الحجاج: ما أرى أن أردَّ بني اللكيعة إلى طاعتي إلا بالسيف.

قال جامع: إن السيف إذا لاقى السيف ذهب الخيار.

قال الحجاج: الخيار يومئذٍ للَّه.

قال جامع: أجل، ولكنك لا تدري لمن يجعله اللَّه.

قال الحجاج: إنك من محارب يا هناه.

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ٣٥٦).

قال جامع:

وللحرب سُـمينا وكنا محاربـًا إذا ما القنا أمسى من الطعم أحمرا

قال الحجاج: واللَّه لقد هممت أن أخلع لسانك فأضرب به وجهك.

❑ قال جامع: إن صدقناك أغضبناك، وإن غششناك أغضبنا اللَّه، وغضب الأمير أهون علينا من غضب اللَّه.

قال الحجاج: أجل، وسكت»[1].

* «نصحتُك إذ غشُّوك»:

«قدم عقيبة الأسدي على معاوية، ورفع إليه رقعة فيها هذه الأبيات:

معاويّ إننا بشر فاسجح فلسنا بالجبال ولا الحديد

أكلتم أرضنا فجردتموها فهل من قائم أو من حصيد؟

أتطمع بالخلود إذا هلكنا وليس لنا ولا لك من خلود؟

فهبنا أُمة هلكت ضياعًا يزيـد أميرها وأبو يزيـد

فدعا به معاوية فقال: ما جرَّأكَ عليَّ؟

قال: نصحتك إذ غشوك، وصدقتك إذ كذبوك.

فقال: ما أظنك إلا صادقًا، وقضى حوائجه»[2].

* «إنه أعيانا فرارًا»:

جاء في كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربه ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٣/ ١٦٥) ما نصه:

«لقي أبو جعفر سفيان الثوري في الطواف، وسفيان لا يعرفه، فضرب بيده على عاتقه وقال: أتعرفني؟

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه (٤/ ٢٥).

(٢) «خزانة الأدب» (٢/ ٢٢٦).

قال: لا، ولكنك قبضت عليَّ قبضة جبار.

قال: عظني أبا عبداللَّه.

قال: وما عملت فيما علمت فأعظكَ فيما جهلت.

قال: فما يمنعك أن تأتينا؟

❑ قال: إن اللَّه نهى عنكم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [هود: ١١٣].

ثم التفت إلى أصحابه فقال: ألقينا الحبَّ إلى العلماء فلقطوا إلا ما كان من سفيان فإنه أعيانا فرارًا».

* **«إني أحذرك يوم ينادي المنادي»:**

جاء في «البداية والنهاية» لابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٩/ ٦٦) في ترجمة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ ما نصه:

«ذات يوم أذن عبدالملك للناس في الدخول عليه إذنًا خاصًا ـ يعني لا يدخل إلاَّ خاصة الناس ـ فدخل مع الناس شيخ رث الهيئة، لم يأبه له الحرس، فألقى أمام عبدالملك صحيفة، وخرج، فلم يدر أحد أين ذهب.

وأخذ عبدالملك الصحيفة، فإذا فيها:

بسم اللَّه الرحمن الرحيم:

يا أيها الإنسان، إن اللَّه قد جعلك بينه وبين عباده، فاحكم بينهم ﴿بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [المطففين: ٤ ـ ٦].

﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ﴾ [هود: ١٠٣ - ١٠٤].

إن اليوم الذي أنت فيه لو بقي لغيرك ما وصل إليك ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا﴾ [النمل: ٥٢].

وإني أحذرك يوم ينادي المنادي ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]، ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ١٨].

فلما قرأه عبدالملك تغير وجهه، فدخل دار حرمته، ولم تزل الكآبة في وجهه بعد ذلك أيامًا».

* **«إنْ تحكم فيَّ يحكم فيك ملك قادر يفرِّق بين الحق والباطل»:**

«قال القعقاع بن حكيم: كنت عند المهدي وقد أُتي بسفيان الثوري، فلما دخل عليه سلم تسليم العامة ولم يُسلم بالخلافة، والربيع قائم على رأسه متكئًا على سيفه يرقب أمره، فأقبل عليه المهدي بوجه طَلْقٍ، وقال له:

يا سفيان، تفر منا ها هنا وها هنا، وتظن أنا لو أردناك بسوء لم نقدر عليك، فقد قدرنا عليك الآن، أفما تخشى أن نحكم فيك بهوانا؟

❑ قال سفيان: إن تحكم فيَّ يحكم فيك ملكٌ قادر يفرِّق بين الحق والباطل.

فقال له الربيع: يا أمير المؤمنين، ألهذا الجاهل أن يستقبلك بمثل هذا؟ إئذن لي أن أضرب عنقه.

فقال له المهدي: اسكت ويلك، وهل يريد هذا وأمثاله إلا أن نقتلهم فنشقى بسعادتهم! اكتبوا عهده على قضاء الكوفة على أن لا يعترض عليه في حكم.

فكتب عهده ودفع إليه، فأخذه وخرج فرمى به في دجلة وهرب،

فطُلب في كل بلد فلم يوجد، ولما امتنع من قضاء الكوفة وتولاه شريك بن عبدالله النخعي قال الشاعر:

تحـرَّزَ سُـفيان وفَـرَّ بدينـه وأمسى شُريكٌ مرصداً للدَّراهم[1]

* **«الفقيه الزاهد نصر بن إبراهيم بن نصر المقدسي وتاج الدولة تُتُش بن ألب أرسلان»:**

زار تاجَ الدولة تُتش بن ألب أرسلان الفقيه نصرُ بنُ إبراهيم يومًا، فلم يقم له، فسأله عن أحَلِّ الأموال التي يتصرف فيها السلطان، فقال الفقيه نصر: أحلُّها أموال الجزية.

فخرج من عنده، وأرسل إليه بمبلغ من المال، فقال:

هذا من مال الجزية، تفرقه على الأصحاب.

فلم يقبله، وقال: لا حاجة بنا إليه.

فلما ذهب الرسول، لامه الفقيه أبو الفتح نصر الله بن محمد، وقال له:

قد علمت حاجتنا إليه، فلو كنت قبلته وفرَّقته فينا.

فقال: لا تجزع من فَوته، فسوف يأتيك من الدنيا ما يكفيك فيما بعد.

فكان كما تفرس فيه»[2].

* **«لو احتجتُ إلى مالكَ ما وعظتُكَ»:**

جاء في كتاب «تاريخ الخلفاء» للإمام جلال الدين السيوطي ـ رحمه الله تعالى ـ ص(٢٦٥) في ترجمة الخليفة العباسي المنصور أبي جعفر عبدالله ابن محمد بن علي العباسي الهاشمي ـ رحمه الله ـ ما نصه:

«عن محمد بن منصور البغدادي قال: قام بعض الزُّهَّاد بين يدي

(١) «وفيات الأعيان» (٢/ ٣٩٠).

(٢) «طبقات الشافعية» للسبكي (٤/ ٢٨).

المنصور فقال: إن اللَّه أعطاكَ الدُّنيا بأسرها، فاشترِ نفسكَ ببعضها، واذكر ليلة تبيتُ في القبرِ لم تبت قبلها ليلة، واذكر ليلة تخض عن يوم لا ليلة بعده.

❑ فأفحم المنصور، وأمر له بمال، فقال: لو احتجتُ إلى مالكَ ما وعظتُكَ».

* «لا أزعمُ أنَّه ابتلاني، وقد عافاني»:

جاء في كتاب «وفيات الأعيان» لابن خلكان ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٢/ ٤٠) في ترجمة الحجاج بن يوسف الثقفي، ما نصه:

«خطب الحجاج بن يوسف في يوم جمعة فأطالَ الخُطْبَة، فقام إليه رجل، فقال: إن الوقت لا ينتظركَ، والربُّ لا يعذركَ.

فأمر به إلى الحبس، فأتاه آل الرجل، فقالوا: إنَّه مجنون.

فقال: إن أقرَّ على نفسه بما ذكرتُم، خلَّيتُ سبيله.

❑ فقال الرجل: لا واللَّه، لا أزعمُ أنَّه ابتلاني، وقد عافاني».

* «يا حجاج كم بينك وبين آدم من أب؟»:

جاء في كتاب «البداية والنهاية» للإمام ابن كثير ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٩/ ١٤٢) ما نصه:

«قال ميمون بن مهران: بعث الحجاج إلى الحسن البصري وقد همَّ به، فلمَّا قامَ بين يديه.

قال: يا حجاج، كم بينك وبين آدم من أب؟

قال: كثير.

قال: فأين هم؟

قال: ماتوا.

فنكس الحجاج رأسه وخرج الحسن».

* **«لو بذل لي الدنيا على ذلك ما فعلت»:**

جاء في كتاب «جذوة المقتبس» للحميدي ـ رحمه اللَّه ـ ص(١٧٢) و«نفح الطيب» للمقري التلمساني ـ رحمه اللَّه ـ (٣/ ١٧٢ ـ ١٩٠) في ترجمة أبي غالب تمام بن غالب المعروف بابن التياني ـ رحمه اللَّه، ما نصه:

«قال ابن حزم ـ رحمه اللَّه ـ: ومن أعظم ما يُحكى من المكارم التي لم نسمع لها أختًا:

أن أبا الوليد عبداللَّه بن محمد بن عبداللَّه المعروف بابن الفرضي حدثني: أن أبا الجيش مجاهدًا ـ يعني العامري ـ صاحب الجزائر ودانيه، وجَّه إلى أبي غالب أيام غلبته على مُرسيه، وأبو غالب ساكن بها ألف دينار أندلسية على أن يزيد في ترجمة الكتاب المذكور ـ يعني تلقيح العين ـ مما ألَّفه تمام بن غالب لأبي الجيش مجاهد، فردَّ الدنانير وأبى من ذلك، ولم يفتح في هذا بابًا البتة، وقال:

واللَّه لو بذلَ لي الدنيا على ذلك ما فعلت ولا استجزت الكذب، لأني لم أجمعه له خاصة بل لكل طالب.

فأعجب لهمة هذا الرئيس وعلوِّها، وأعجب لنفس هذا العالم ونزاهتها».

* **القاضي عبدالملك بن محمد الحزمي وداود بن يزيد بن حاتم والي مصر: «لن تصل رحمي بمثل إعفائي»:**

«عن يزيد بن عمر: أن الطائي صاحب البريد شفعَ إلى الحَزْمي في خَصْمٍ فكتب إليه الحزمي: ما أنت والقضاء، عليك تدبُر دوابَّكَ وبراذعها، وكنس زبولها.

فكتب إليه هارون يبغيه ويقول: إن الناس قد شكوه.

وأتى كتاب هارون إلى داود بن يزيد بن حاتم، وكان واليًا على مصر يأمره أن يوقِّفَ الحزمي للناس.

فأقامه داؤد فأثنى الناس عليه خيرًا، وركب الليث بن سعد، وعاصم ابن العلاء القاص، وعبدالله بن لهيعة، إلى الأمير فأثنوا عليه.

فقال الحزمي لداؤد: قد جاءتني فُرجة، فيها لباس العافية مما أنا فيه، ولست تصل رحمي بمثل إعفائي، وقد رضيتُ لك المفضل بن فضالة.

فلم يزل به حتى أعفاه»[1].

* **العلاء بن كثير الاسكندراني والليث بن سعد:**

«قال سليمان بن داود المهري، عن علي بن مُطلب وغيره:

كان العلاء بن كثير لا يتلقى أحدًا إذا قدم الإسكندرية غير الليث بن سعد، ولا يُشيِّع أحدًا غيره إذا خرج.

قال: فبلغ العلاء أنه ولي.

قال سليمان: وإنما ولي مصلحة المسلمين، فقدم الليث، فقال العلاء لأصحابه: لا أعلمن أحدًا منكم خرج إليه ولا يلقاه.

قال: فقدم فدخل المسجد، فلم يقم إليه أحد.

قال: فجاء الليث فجلس إلى العلاء، فقال: يا ليث وليت؟

فقال الليث: خفتُ على دمي.

فقال له العلاء: لسحرةُ فرعون كانوا أقرب عهدًا بالكفر منك ولهم كانوا أعلم بالله منك حين قالوا: اقض ما أنت قاض.

قال: فقال: فإني أتوب إلى الله.

---

(١) «أخبار قضاة مصر» لمحمد بن يوسف الكندي ص(٣٨٤).

قال: فقال العلاء لإخوانه: خذوا بيد أخيكم»[١].

* «لا يا رب ولو قرضت بالمقاريض»:

«عن أبي يحيى الوقار قال: لَمّا طُلبَ ابنُ وهَب للقضاء تغيَّب فسُمع وهو يقول:

❑ يا ربِ يقدم عليك إخواني غدًا عُلماءَ حُكماءَ فُقهاء، وأقدمُ عليكَ قاضيًا، لا يا ربِّ ولو قُرضتُ بالمقاريض»[٢].

* الإمام يحيى بن يعمر والحجاج: «لم تدع خشية اللَّه مكانًا لخشية سواه»:

«قال الحجاج ليحيى بن يعمر: ما تقول في مدينة واسط؟

فقال له: ما أقول فيها وقد بنيتها من غير مالك، وسيسكنها غير أهلك.

فقال الحجاج: ما حملكَ على ما قلت؟

قال: ما أخذ اللَّه تعالى على العلماء من العهد ألاَّ يكتموا الناس حديثًا.

فقال له: ألم تخشى سيف الحجاج؟

❑ فقال: لقد ملأتني خشية اللَّه جلَّ وعَلا، فلم تدع مكانًا لخشية سواه.

فسكت الحجاج ولم يُجب»[٣].

* العز بن عبدالسلام والملك الأشرف الأيوبي:

«هذه اجتماعة للَّه لا أُكدِّرها بشيء من الدنيا»:

«كان الملك الأشرف الأيوبي يلي دمشق، وأخوه الملك الكامل يلي مصر، وقامت فتنة بدمشق على مسائل كلامية انتصر فيها العز بن عبدالسلام للشريعة الغراء نصراً أغضب الملك الأشرف، إذا كان ميله للطرف الآخر،

(١) «تهذيب الكمال» للمزي (٢٢/ ٥٣٣).

(٢) «أخبار قضاة مصر» للكندي ص(٤١٨).

(٣) «عيون الأخبار» للدينوري (١/ ٢٣٠).

فلما مرض الأشرف أرسل للشيخ يتحلل منه ويعتذر إليه، ويسأله أن يعوده ويوصيه بما ينفعه، فقبل الشيخ واتجه لزيارته، وكانت قد وقعت بين الأشرف وأخيه الكامل وحشة فأمر وهو في مرضه أن ينصب دهليزه صوب مصر، فلما رأى الشيخ الدهليز على هذه الحال، قال للملك الأشرف:

إن الملك الكامل أخوكَ الكبير، ورحمك، وأنت مشهور بالفتوحات، والتتار قد خاضوا بلاد المسلمين، أفتركُ ضرب دهليزك إلى أعداء اللَّه وأعداء الإسلام، وتضربه صوب أخيك؟ غيِّر الحال ولا تقطع رحمك، وانوِ مع اللَّه نصر دينه وإعزاز كلمته، فإن منَّ اللَّه بالعافية عليك رجونا منه تعالى إدالتك على الكفار، وكانت هذه الحسنة العظيمة في ميزانك، وإن قضى اللَّه بانتقالك إليه كان السلطان في خفارة نيتك.

فقال الأشرف: جزاك اللَّه خيراً عن إرشادك ونصيحتك، وأمر والشيخ حاضر بنقل دهليزه صوب التتار.

ثم قال للشيخ: زدني من نصيحتك ووصاياك.

فزاده الشيخ حتى أمر بإبطال المكس والإقلاع عن المحرَّمات والمظالم، وأطلق له ألف دينار مصرية فردَّها عليه وقال:

هذه اجتماعة للَّه لا أُكدِّرها بشيء من الدنيا»[1].

*** القاضي سوار بن عبداللَّه قاضي البصرة وعقبة بن مسلم الهنائي: «لأقتُلنَّكَ قتلةً يتحدَّثُ الناس بها»:**

جاء في كتاب «أخبار القضاة» ص(٥٩ ـ ٦٠) ما نصه:

«عن الأصمعي عن أبيه: أن عقبة بن مسلم الهنائي عامل أبي جعفر على معونة البصرة بلغ من عُتوِّه واجترائه على اللَّه، وإقدامه على دماء

(١) «العز بن عبدالسلام» للأستاذ رضوان الندوي «الموقف: ٣٢».

المسلمين وأموالهم أمرًا منكرًا.

أخذ مرة رجلاً قدم بجوهرة، فاعتدى عليه وأخذ منه الجوهرة، وحبسه في السجن.

فجاءت زوجة الرجل إلى سوار بن عبدالله وهو قاضي أهل البصرة فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، إن الأمير عقبة بن مسلم أخذ زوجي، قدم بجوهرة فاغتصبه إياها، وحبسه في السجن.

فبعث إليه سوار يخبره بما رفعت المرأة عليه عنده ويقول له: فإن كان حقًا فأطلق الرجل وردَّ جوهرته.

فلما أخبر الرسول عقبة برسالة سوار زجره، وشتمه، وشتم سوارًا، فجاء الرسول إلى سوار فأخبره بذلك، فوجَّه إليه سوار بأمنائه ليسمعوا منه قوله، وما يردُّ به من جوابٍ، فأتوه فردَّ عليهم بشتم قبيح فعادوا إلى سوار فأخبروه.

فأرسل إليه سوار: والله لئن لم تطلق الرجل وتردَّ عليه جوهرته، لآتينَّكَ في ثياب بيض ماشيًا، ولأدمرنَّ عليك بغير سلاح، ولأقتلنّكَ قتلةً يتحدَّث الناس بها.

فلمَّا سمعَ مَنْ بحضرته رسالة سوار قالوا: أيُّها الأمير إنَّه يفعل بكَ ما أرسل إليك، وهو سوار قاضي أمير المؤمنين، فافعل ما أمركَ به، فوجَّه إليه بالرَّجل وبالجوهرة، ووجَّه إليه رجالاً يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة، فصاح بهم سوار: تشهدون على ماذا؟ يُطلق الرجل وتُردُّ عليه جوهرته، ففعلوا».

* «لله درك يا سوار»:

«كان محمد بن سليمان أميرًا للمهدي على البصرة، وكان حماد بن موسى الغالبُ عليه لموضعه منه، فحبس سوار القاضي رجلاً من أتباع حمَّاد

في قضيته فأخرج حمَّاد الرجل من الحبس.

فركب سوار حتى دخل على الأمير محمد بن سليمان، وهو قاعد للناس والناس على مراتبهم فجلس حيث يراه محمد، ثم دعا بقائد من قواد الأمير وقال له: أسامع أنت مطيع؟ قال: نعم. قال: اجلس ها هنا وأقعده عن يمينه، ثم دعا آخر وفعل ذلك بجماعة من القواد، ثم قال: انطلقوا إلى حمَّاد بن موسى فضعوه في الحبس، فنظروا إلى محمد فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم، فانطلقوا فوضعوا حماد بن موسى في الحبس فانصرف سوار.

فلما كان العشيُّ قال له الأمير: يا أبا عبداللَّه قد بلغني ما صنع هذا الجاهل وأُحبُّ أن تهب لي ذنبه.

قال: قد فعلتُ إن ردَّ الرجل إلى الحبس، قال: يردُّه بالصاد والقماء، ووجَّه إلى الرجل فحبسه، وأخرج حمادًا وكتب بذلك إلى المهدي.

فكتب المهدي إلى سوار يحمده على ما صنع، وكتب إلى محمد بن سليمان بكلام غليظ يقول فيه:

واللَّه لولا أن الوعيد أمام العقوبة، ما أدَّبته إلاَّ بالسيف ليكون عظةً لغيره ونكالاً، يفتات على قاضي المسلمين في رأيه، ويركب هواه لموضعه منك! ويعرض بالأحكام استهانة بأمر اللَّه وإقدامًا على أمير المؤمنين، وباللَّه لئن عاد إلى مثلها ليجدني أغضب لدين اللَّه، وأنتقم لأولياء اللَّه من أعدائه والسلام»[1].

*** قاضي البصرة الحسن بن عبداللَّه العنبري والمعتصم وأحمد بن أبي دؤاد: «وددتُ أن مكان كل شعرة فيه قاض على بلد من البلدان»:**

«لـمَّا أصبح الحسن بن عبيداللَّه العنبري قاضيًا على البصرة أراد أحمد

(١) «أخبار القضاة» ص(٦٩).

ابن أبي دؤاد ـ قاضي القضاة ـ أن يختبره، فكتب إليه:

إن عندك صكوكًا في ديوانكَ هي لقوم من أهل بغداد، فاحملها مع نفر من قبلكَ لتُسلِّمها إلى قاضي بغداد ليكون أهون على أهلها في التثبُّت.

فكتب الحسن العنبري له: إنَّ هذه الصُّكوك لقوم ادَّعوها قبلي، وقد شرعوا فيها، وأقاموا البيِّنة عندي، ولم أكن لأُخرجها عن يدي فيبطلَ حقٌّ من حقوقهم، فإن شئت أن تبعثَ أنتَ إلى الديوان فتأخذها كان ذلك إليك أمّا أنا فلن أتقلَّد ذاك أبدًا.

دخل ابن أبي دؤاد على المعتصم، وأخذ منه كتابًا حازمًا يأمرُ الحسن بحملِ الصُّكوك إلى قاضي بغداد، فجمع الحسن فقهاء البصرة وفيهم هلال الرأي فشاورهم فقال له هلال: كأنَّهم عزلوكَ عن هذه الصُّكوك نفسها، فوجِّها إليهم.

قال محمد بن عمر: فلمّا خرج الفقهاء قال لي: ما تقول؟ فقلتُ: عوَّذكَ اللَّه وأهلكَ من ردِّ كتب الخلفاء بما لا يستقيم خيرًا.

قال: فنادى غُلامه، وقال له: اكتب يا غلام، وردَّ عليَّ كتاب أمير المؤمنين حزمًا، ولم يكن القضاة يُكتبُ إليهم حزمًا، وهذه الكتب كنت أوطن أمير المؤمنين فيها العثرة، وهي لقوم قبلي، ولم أكن لأتقلَّد إثم إبطال حقوقهم، والديوان ديوان أمير المؤمنين، فإن أحبَّ أن يُرسل فيأخذها فذلك إليه.

فلمّا وردَ الكتابُ على أحمد بن أبي دؤاد قال للمعتصم:

كيف رأيت فراستي فيه؟

واللَّه لوددتُ أن مكان كل شعرة فيه قاض على بلد من البلدان»[1].

(١) «أخبار القضاة» ص(١٧٤).

*** القاضي إياس ووكيع بن أبي سود صاحب خراسان: «خدعك إنه لا يقبل شهادتك»:**

«احتال قوم على وكيع بن أبي سود صاحب خراسان ليشهد لهم، وهو رجل أحمق شرير، وكان إياس لا يقبل شهادته.

فلما أقبلَ وكيع على إياس احتفى به، وقال له: مرحبًا وأهلاً بأبي مطرف، وأجلسه معه، ثم قال له:

ما جاءَ بك؟ قال: لأشهد لفلان.

فقال له إياس: ما لك وللشهادة، إنَّما يشهدُ الموالي والتجّار والسوقة.

قال: صدقت، وانصرف من عنده، فقيل له: خدعكَ إنَّه لا يقبل شهادتك.

قال: لو علمتُ ذلك لصلوته بالقضيب»[1].

*** عبدالله بن أيوب المخرمي لا يخرج لأصحاب الخليفة ويرفض القضاء:**

«عن محمد بن محمد بن سليمان الباغندي ـ رحمه الله تعالى ـ قال:

كنتُ بسرّ من رأى، وكان عبدالله بن أيوب المخرمي يقرب إليَّ، فخرج توقيع الخليفة بتقليده القضاء، فانحدرتُ في الحال من سرَّ من رأى إلى بغداد، حتى دققتُ على عبدالله بن أيوب بابه، فخرج إليَّ.

فقلت: لك البُشرى.

فقال: بشَّركَ الله بخير، ما هي؟

قال: قلت: خرج توقيع السلطان بتقليدك القضاء لأحد البلدين، إمّا سرَّ من رأى، أو بغداد.

قال: فأطبقَ الباب، وقال: بشَّركَ الله بالنار.

---

(١) «العقد الفريد» لابن عبد ربه الأندلسي (١/ ٩٠) ـ طبع لجنة التأليف.

وجاء أصحاب السلطان إليه، فلم يظهر لهم، فانصرفوا»[١] .

* **الإمام ربيعة الرأي والخليفة الوليد بن يزيد: «عزَّة العلماء... ما أُحدِّثُ شيئًا»:**

«عن عبدالله بن كامل، عن مالك أو غيره قال:

لمّا دخل ربيعة على الوليد بن يزيد ـ وهو خليفة ـ قال: يا ربيعة، حدِّثنا.

قال: ما أحدث شيئًا.

قال: فلما خرج من عنده قال: ألا تعجبون من هذا الذي يقترح عليّ كما يقترح على المُغنية: حدثنا يا ربيعة»[٢] .

* **صلاح النفس أولاً ثم دعوة الناس وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر:**

قال أبو حامد الغزالي ـ رحمه الله ـ: «كن أحد رجلين:

إمّا مشغولاً بنفسك، وإمّا مُتفرِّغًا لغيرك بعد الفراغ لنفسك.

وإيَّاكَ أن تشتغلَ بما يصلح غيرك قبل إصلاح نفسك.

فإن كنت المشغول بنفسكَ فلا تشتغل إلاَّ بالعلم الذي هو فرض عليك بحسب ما يقتضيه حالك.

ولا تشتغل بفروض الكفاية، لا سيَّما وفي زمرة الخلق من قد قام بها، فإن مُهلك نفسه ـ فيما به صلاح غيره ـ سفيه، فما أشدَّ حماقة من دخلت الأفاعي تحت ثيابه، وهمَّت بقتله، وهو يطلبُ مذبَّةً يدفعُ بها الذباب عن غيره.

وإن تفرَّغت من نفسك وتطهيرها، فاشتغل بفروض الكفايات، وراع التدريج فيها»[٣] .

---

(١) «تاريخ بغداد» (١٠/ ٨١)، و«المنتظم» (٥/ ٥٣).

(٢) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب (١/ ٣٣٦).

(٣) «إحياء علوم الدين» (١/ ٣٩).

وقال: «فحقٌّ على كلِّ مسلم أن يبدأ بنفسه فيُصلحها، بالمواظبة على الفرائض وترك المحرَّمات، ثم يعلِّم ذلك أهل بيته، ثم يتعدَّى بعد الفراغ منهم إلى جيرانه، ثم إلى أهل محلَّته، ثم إلى أهل بلده... وهكذا إلى أقصى العالم.

فإن قام به الأدنى، سقط عن الأبعد، وإلاَّ حرج به على كلِّ قادر عليه، قريبًا كان أو بعيدًا، ولا يسقطُ الحرج ما دام يبقى على وجه الأرض جاهل بفرض من فروض دينه، وهو قادر على أن يسعى إليه بنفسه أو بغيره فيعلِّمه فرضه.

وهذا شغل شاغل، لمن يهمه أمر دينه، ويشغله عن تجزئة الأوقات في التفريعات النادرة، والتعمُّق في دقائق العلوم التي هي من فروض الكفايات، ولا يتقدَّم على هذا ـ أي أمر الدعوة ـ إلاَّ فرض عين، أو فرض كفاية هو أهم منه»[1].

* **«لا نستضيء بنارهم»:**

«قال أبو شهاب: كنت ليلة مع سفيان فرأى نارًا من بعيد.

فقال: ما هذا؟ فقلت: نار صاحب الشرطة.

فقال: اذهب بنا في طريق آخر، لا نستضيء بنارهم، أو قال: بنورهم»[2].

* **«لا أُحدِّث قومًا أنت فيهم»:**

جاء في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي ـ رحمه اللَّه ـ (١/ ٣٣٧) برقم: (٧٦٤) ما نصه:

---

(١) «إحياء علوم الدين» (٢/ ٣٤٢).

(٢) «حلية الأولياء» (٧/ ٤٠).

«... نا شريك قال: كان أبو جعفر المنصور قد استخفى عند رجل فأكرمه، فلمَّا أفضت الخلافة إليه، قدم عليه ذلك الرجل يُهنِّئه، فأكرمه وقال له: سل حاجتكَ، فقال له: أنت تعلم أنِّي من اللَّه في نعمة، ما لي حاجة، إلاَّ أنِّي أشتهي أن يُحدِّثني الأعمش، فاكتب إليه كتابًا ليُحدِّثني.

فكتب له أبو جعفر كتابًا بخطِّه إلى الأعمش يُعرِّفه فيه وجوب حقِّه عليه، ويأمره بأن يُحدِّثه.

فلمّا مضى الرجل بالكتاب وافى باب الأعمش، فدقَّه، وكان الأعمش يكره أن يُدَقَّ عليه بابُهُ، فقال: من ذا؟ ادخل.

فدخل ـ والأعمش يلخف كسبًا[1] للشاة ـ فقال له: ما لَكَ؟

فقال: هذا كتاب أمير المؤمنين إليك.

فقال: هاته، فأخذه، ثم قال: يا بُسْرَةَ ـ يعني أن اسم الشاة بُسْرَة ـ فرفعت رأسها، فجعل يُضَفِّرها الكتاب حتى أكلته.

ثم قال: إيش فيه؟ قال: فيه أن تُحدِّثني.

فقال: ما أُحدِّثُكَ بحرف.

فقال: سبحان اللَّه يا أبا محمد! يكتبُ إليك أمير المؤمنين في شيءٍ فلا تفعله؟

فقال: واللَّه ما أُحدِّثُكَ، ولا أُحدِّثُ قومًا أنت فيهم».

* أعرابي يشكو عاملاً لهشام بن عبدالملك:

«دخل أعرابيٌّ على هشام بن عبدالملك يشكو عاملاً لهم، فقال: يا أمير المؤمنين، إنه واللَّه ما أدركنا أحدًا قعَدَ مَقْعَدَكَ أعدلَ منكَ، وإنَّ أهل الشكر لعدلك، هم عُيونُكَ على مكارمكَ، يجب عليهم أن يرفعوا إليك كلَّ مكرمةٍ

(١) يلخف كسبا: أي يعجنه، ويضرب بعضه ببعض ليتماسك، ثم يطعمه للشاة.

غِبتَ عنها، حفظًا لغيبك، وتأديةً لحقِّك وحقِّ إمامتك، وفلان بن فلان رفعتَ خسيستَهُ، وأثبتَّ رُكنَهُ، وأعليتَ ذِكرَهُ، وأمرتَهُ بنشر محاسنكَ فطواها، وإظهار مكارمكَ فأخفاها، وقد أخربَ البلادَ، وأظهرَ الفسادَ، وأجاعَ الأكبادَ، وأخرج الناس من سَعَةِ العدلِ إلى ضيقِ الجوْرِ، حتى باعوا الطارِفَ والتالِدَ.

قال: يا أعرابي، إن كان ما تقول حقًّا عزلناه وجعلناه نكالاً لمن سار بسَيْرِه»[1].

* **«أكره أن أُذَلَّ»:**

«عن سفيان بن عيينة أن محمد بن إبراهيم الهاشمي، وكان واليًا على مكة، بعث إلى سفيان الثوري بمائتي دينار، فأبى أن يقبلها.

قلت: يا أبا عبداللَّه، كأنكَ لا تراها حلالاً؟

قال: بلى، ولكن أكره أن أذلَّ»[2].

* **العَالِمُ يُؤتى: «لا تعودنَّ لشيء من هذا»:**

جاء في كتاب «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي ـ رحمه اللَّه ـ (١/ ٣٧٠) برقم: (٨٥٠) ما نصه:

«. . . سمعتُ مُسَدَّدًا ـ يعني ابن قَطَن ـ يقول: سمعتُ أبي يقول:

كنتُ عند سليمان بن حرب إذ أقبل طاهر بن عبداللَّه بن طاهر ـ والمطرقة بين يديه ـ فلمَّا جلس أقبل عليه سليمان فقبض على لحيته، فقال:

سبحان اللَّه يُستَخَفُّ بشيخٍ مثلي؟!

قال: ما ذاك يا أبا أيوب؟

---

(١) «لباب الآداب» للأمير أسامة بن منقذ (ص٢٣٧).

(٢) «الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم الرازي (١/ ١٤٤).

قال: بعثتَ إليَّ أن تعال فحدِّثني، العالم يأتي، أو يؤتى؟

قال: لا أعود يا أبا أيوب. قال: لا تعودنَّ لشيء من هذا، إن أردتَ الحديث فهذا مجلسي».

*** الشيخ أحمد بن بديل الكوفي قاضي الريِّ وموسى بن بغا: «إنه اللَّه تبارك وتعالى»:**

«عن أبي القاسم عبيداللَّه بن سليمان قال: كنتُ أكتبُ لموسى بن بغا، وكنّا بالرَّي، وكان قاضيها إذْ ذاكَ أحمد بن بديل الكوفي، فاحتاج موسى أن يجمع ضيعة كانت هناك، كانت له فيها سهام، وأن يعمِّرها، وكان فيهم سهم ليتيم.

فصرت إلى أحمد بن بديل، أو قال: استحضرت أحمد بن بديل، وخاطبته في أن يبيع علينا حصة اليتيم، ويأخذ الثمن.

فامتنع وقال: ما باليتيم حاجة للبيع، ولا آمن أن أبيع ماله وهو مستغن عنه، فيحدث على المال حادثة، فأكون قد ضيَّعته عليه.

فقلت: أنا أُعطيك في ثمن حصته ضعف قيمتها.

فقال: ما هذا لي بعذر في البيع، والصورة في المال إذا كثر، مثلها إذا قلَّ.

فأردتُه بكلِّ لون وهو يمتنع، فأضجرني، فقلت له:

أيها القاضي، إلاَّ تفعل، فإنه موسى بن بغا.

فقال لي: أعزَّك اللَّه، إنه اللَّه تبارك وتعالى.

قال: فاستحييتُ من اللَّه أن أعاوده بعد ذلك، وفارقته.

ودخلت على موسى، فقال: ما عملت في أمر الضيعة؟

فقصصتُ عليه الحديث، فلمَّا سمع «إنه اللَّه» بكى، وما زال يكرِّرها.

ثم قال: لا تعرض لهذه الضيعة، وانظر في أمر هذا الشيخ الصالح، فإن كانت له حاجة فاقضها.

قال: فأحضرته، وقلت له: إن الأمير قد أعفاك من أمر الضيعة، وذلك أنِّي شرحتُ له ما جرى بيننا، وهو يعرض عليك قضاء حوائجك.

قال: فدعا له، وقال: هذا الفعل أحفظ لنعمته، وما لي حاجة إلا إدرار رزقي، فقد تأخَّر منذ شهور، وقد أضرَّ بي.

فأطلقت له جاريه»[1].

*** اللَّه بيني وبينك:**

«عن إبراهيم الفرَّاء، قال: كتب سفيان إلى المهدي مع عصام جبر:

طرَدْتَني، وشرَّدْتَّني، وخَوَّفْتَني، واللَّهُ بيني وبينكَ، وأرجو أن يخير اللَّه لي قبل مرجوع الكتاب. فرجعَ الكتابُ وقد مات»[2].

*** قاضي لا يدفع إلى المعتضد شيئًا: «لم يدفع إلى المعتضد شيئًا»:**

جاء في كتاب «المنتظم» للإمام ابن الجوزي ـ رحمه اللَّه تعالى ـ (٦/ ٥٣) ما نصه:

«عن أبي الحسين عبدالواحد بن محمد الخصيبي، قال: قال لي ابن حبيب الذرَّاع: كنَّا ونحن أحداث مع أبي حازم، وكنَّا نقعده قاضيًا، ونتقدَّم إليه في الخصومات.

قال: فما مضت الأيام والليالي، حتى صار قاضيًا.

قال أبو الحسين: وبلغ من شدَّته في الحكم، أن المعتضد وجَّه إليه بطريف المخلدي، فقال له: إنَّ لي على الضبعي ـ بيع كان للمعتضد ولغيره ـ

(١) «المنتظم» لابن الجوزي (٥/ ٩).

(٢) «سير أعلام النبلاء» (٧/ ٢٦٤).